كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

المماثلة الصوتية بين الصَّوامت في الدُّرِّ المصون للسَّمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)

(دراسة بين النظرية والتطبيق)

إعداد

د/ ياسر رجب عز الدين عبد الله

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الخامس والثلاثون – الجزء الأول ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أضفى على لغنا صفة القداسة، وخلع عليها سمات التكريم منذ أن أنزل بها كتابه الكريم، والصلاة والسلام على خير من نطق بالعربية، فأحلَّها منازل التعظيم.

أمَّا بعد

فقد حظيت الدراسة الصوتية باهتمام علماء اللغة القدامى وقد جاء ذلك واضحًا في الدراسات الصوتية التي قام بها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) في كتابه "العين"، وكذلك إمام العربية سيبويه (ت١٨٠هـ) والعلامة ابن جني (ت٣٩٢هـ)، الذي أرسى قواعد الدرس الصوتي ، ووضع له المعالم والحدود، مما جعل الكثير من علماء الغرب قديمًا وحديثًا يشهدون للعرب بالسبق في هذا المجال.

ولم تقتصر جهود العلماء العرب في الاهتمام بلغتهم على علماء اللغة والنحو ، بل كان لعلماء التفسير دورٌ بارزٌ في إبراز النَّواحي اللغوية في تفسير القرآن الكريم ، ومن هؤلاء العلماء: الإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي[1]، فقد ضمَّن كتابه "الدر المصون" كثيرًا من المباحث اللغوية التي

---

(١) السَّمين الحلبي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الشافعي الحلبي المعروف بالسمين الحلبي، نشأ في حلب، ثم رحل إلى القاهرة، وفيها برع وأجاد وأصبح من علمائها المعروفين، تتلمذ على أبي حيَّان ولازمه إلى أن فاق أقرانه، كما أنَّه أخذ العلم عن علماء آخرين منهم التقى الصائغ، ويونس الدبوسي، والعشاب. توفى

جعلت من هذا الكتاب مصدرًا أساسًا لا يمكن لأي باحثٍ لغوي الاستغناء عن الرجوع إليه، والانتفاع به في مستويات اللغة: الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية.

لهذا فإني استخرتُ الله تعالى وقمت بإعداد بحث في (المماثلة الصوتية بين الصوامت في الدر المصون للسمين الحلبي بين النظرية والتطبيق) وسأكتفي بشرح التأثير ونسبته في الأصوات الساكنة (الصامتة)؛ نظرًا لوضوح التأثر فيها وضوحًا لا يدع مجالاً للشك[1]، ونظرًا لضيق مجال البحث أيضًا؛ حيث نرجئ الحديث عن التأثر ونسبته في أصوات اللين إلى بحث آخر بإذن الله تعالى، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب ليّ ولهذا البحث القبول، وأن يجعله عملاً متقبلاً خالصًا لوجهه الكريم.

ومنهجي في هذه الدراسة سوف يكون - بإذن الله تعالى - هو المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث أقوم باستخراج النماذج التي تمثل هذا الموضوع، ثم تصنيفها على حسب خطة هذا البحث، ثم تحليلها ودراستها للتعرف على موضوع المماثلة فيها ودورها في اقتصاد الجهد العضلي والتخفيف من ثقل النطق.

وقد قمت بجمع المادة اللغوية، ثم صنَّفتها إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

ففي المقدمة: تحدثت عن أهمية الموضوع وسبب اختياره.

السمين (رحمه الله) في سنة (٧٥٦هـ) في القاهرة، وترك آثارًا كثيرة أشهرها الدُّر المصون، وعمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ. ينظر: الدرر الكامنة/ لابن حجر ٤٠٢/١، والنجوم الزاهرة/ لابن تغري ٣٢١/١٠، وطبقات المفسرين/ للداودي ١٠١/١، ١٠٢، وبغية الوعاة/ للسيوطي ٤٠٢/١، والأعلام/ ٢٧٤/١، ومعجم المؤلفين ٣٢٩/١، وكشف الظنون ١٢٢/١، وتاريخ الأدب العربي/ لبروكلمان ١٣٨/٢.

(١) الأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس ص١٤٨، ١٤٩.

وفي **التمهيد**: تحدثت عن مصطلحات المماثلة الجزئية والكلية، وأنواع التأثر بين الأصوات.

وفي **الفصل الأول**: تناولت ظاهرة المماثلة الجزئية بين الصوامت (الإبدال)، مبرزًا أهميتها في تخفيف ثقل تنافر الأصوات واختلافها قدر الإمكان، وقد جاء في مبحثين، هما:

المبحث الأول – تحدثت فيه عن المماثلة الجزئية عن طريق التأثر التَّقدُّمي.

المبحث الثاني – تحدثت فيه عن المماثلة الجزئية عن طريق التأثر التَّراجعي.

وفي **الفصل الثاني**: تناولت ظاهرة المماثلة الكلية بين الصوامت (بالإدغام)، وقد جاء في مبحثين أيضًا، هما:

المبحث الأول – وقد تحدثت فيه عن الإدغام بين المتجانسين.

المبحث الثاني – تحدثت فيه عن الإدغام بين المتقاربين.

وفي **الخاتمة**: ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم جاء فهرس الآيات القرآنية والمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

تمهيد
في مصطلحات المماثلة الصوتية بين الصوامت وأنواعها ودرجات التأثر فيها

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض خلال عملية النطق، فتتغيَّر مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج، أو في الصفات؛ ذلك أنَّ أصوات اللغة تختلف فيما بينها . كما نعرف . في المخارج، والصفات كالشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرجٍ واحدٍ، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهورًا والآخر مهموسًا مثلاً، حدث بينهما شدٌّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها[1].

واللغة العربية في تطورها التاريخي عرفت هذا اللون من التَّأثر، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، ولعل من أكثر الظواهر استخدامًا في اللغة ظاهرة المماثلة بأضربها وأشكالها المتنوعة[2]؛ إذ كثيرًا ما تستنجد بها لغتنا للتخلص من تنافر أو تباعد يصيب أصواتها، لتحقيق التوازن بين عناصرها، فالمماثلة تطور صوتي يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضها من بعض، أو

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب ص٣٠.
(٢) مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي عند سيبويه/ لجيلالي بن يشو، بحث في مجلة التراث العربي، العدد (٩٩)ـ(١٠٠)، رمضان ١٤٢٦هـ ـ تشرين الأول ٢٠٠٥م، ص٢٦١.

إدغامها بعضها في بعض لتحقيق الانسجام الصوتي[١].

ويعرف "دانيال جونز Daniel Jones"، المماثلة بأنها: "عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة، ويمكنها أن تتَّسع لتمثل تفاعل صوتين متواليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما"[٢].

وجاء في تعريف بروسنهان (Brosnahan) بأنها: "التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى"[٣]. ويراها الدكتور أحمد مختار عمر: "تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمَّا تماثلاً جزئيًا أو كليًا"[٤].

وبالرغم من أنَّ المماثلة كمصطلح لغوي حديث نسبيًا، إلا أن اللغويين العرب القدامى قد تناولوا هذه الظاهرة اللغوية دون أن يكون لها اسمًا محددًا، فقد أطلق سيبويه على المماثلة عدة مصطلحات، منها: المضارعة[٥]، كما سمَّاها أيضًا بالتقريب[٦]، وتناول كذلك ما سمَّيناه بأقصى درجات التأثر بين المتجاورين؛ أي: الإدغام[٧]، ثم ترددت بعد ذلك في الخصائص لابن جني[٨]؛ حيث يمكننا القول: إنَّ هذه الظاهرة اللغوية اختلطت بغيرها من الظواهر عند لغوييننا القدامى.

---

(١) الأزهري اللغوي، صاحب معجم تهذيب اللغة/ للدكتور سميح أبو مغلي ص٨٩، وينظر: مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي عند سيبويه ص٢٦١.

(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص٣٠، ومصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي ص٢٦٠.

(٣) الأصوات اللغوية/ د. عبدالقادر عبد الجليل ص٢٨٣.

(٤) دراسة الصوت اللغوي/ د. أحمد مختار عمر ص٣٢٤.

(٥) الكتاب ٤/٤٧٧.

(٦) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٧) الكتاب ٤/٤٥٠، ٤٦٠، ٤٧٥.

(٨) الخصائص ١/٣٢١، ٢/١٤١، ١٤٥، ١٤٧، ٢٢٩.

مصطلحات المماثلة الصوتية بين الصوامت عند اللغويين القدامى:

لم يستقر سيبويه (ت١٨٠هـ) ـ كغيره من اللغويين ـ على مصطلح مقيد لهذه الظاهرة، بل راح ينعتها بجملة من التسميات، منها:

*** المضارعة:**

عقد سيبويه عنوانًا تحت هذا المصطلح سمَّاه: "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"[١]، وهو يعني بالحرف الذي من موضعه الصاد الساكنة، إذا كانت بعد دال، فإن تحركت الصاد لم تبدل؛ لأنَّه قد وقع بينهما شيء[٢].

ويعني بالحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه؛ أي: ليس من مخرج الصاد والسين والزاي، وهو الشين؛لأن مخرج الشين وسط اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى،في حين أن مخرج أصوات

الصفير (الصاد، والسين والزاي) من طرف اللسان، وفويق الثنايا[٣].

*** الإبدال أو القلب:**

يطلق سيبويه ـ كغيره من اللغويين القدامى ـ على المماثلة: الإبدال، وهو عنده لون من التقريب بين الأصوات ليتم التجانس والتماثل، من ذلك إبدال الصاد زايًا خالصة في نحو: التصدير، والفصد، وأصدرت، فقالوا فيها: التزدير والفزد

---

(١) الكتاب ٤/٤٧٧.

(٢) مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي ص٢٦١.

(٣) ينظر: الكتاب/ لسيبويه ٤/٤٣٣، وسر صناعة الإعراب/ لابن جني ١/٤٧، والأصوات اللغوية/ د. عبدالقادر عبدالجليل ص١٣٠، ١٣١، ومصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي ص٢٦٢.

وأزدرت[١]، وقد علَّل ذلك قائلاً: "وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد"[٢]. والذي يقصده سيبويه بأن يكون عملهم من وجه واحد: إبدال الصاد: زايًا؛ لأنَّها أختها في مجموعة الأصوات الصفيرية، والفرق بينهما أنَّ الصاد مهموسة، والزاي مجهورة أبدلت زايًا؛ لتناسب أو تماثل الدال في الجهر[٣].

ومن السياقات اللغوية التي وظَّف فيها مصطلح (القلب) للدلالة على المماثلة: قلب السين صادًا، إذا كان بعدها صوت مستعل في مثل: صقت وصبقت أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف؛ ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد؛ لأنَّ الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق، فشبَّهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر[٤]. فالصاد من حروف الإطباق.

... أمَّا قوله: ليكون العمل من وجه واحد؛ أي: ليكون قبل القاف حرف مستعل فجئ بحرف مستعل يضارع استعلاء القاف وهو الصاد بهدف تحقيق التجانس والانسجام؛ لأنَّه من الصعب الانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء[٥].

*** الإدغام**:

"من الألقاب التي خصَّ بها اللغويون القدامى ـ أيضًا ـ ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بالمماثلة الكاملة: "الإدغام"؛ ونظرًا لتعدد أوجه هذه الظاهرة نجد

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٧٨.
(٢) المصدر السابق ـ الصفحة نفسها.
(٣) مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي ص٢٦٣.
(٤) الكتاب ٤/٤٧٩، ٤٨٠.
(٥) مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي ص٢٦٣.

سيبويه قد خصص تحت باب "الإدغام" الرئيس أبوابًا فرعية لدراسة مواضعه المختلفة...[١]، والإدغام يُعد من ضروب المماثلة بين الصوامت.

أنواع المماثلة الصوتية:

هذا، وللمماثلة أنواع، فقد تكون كلية أو جزئية، وقد تكون تقدمية أو رجعية[٢]. فهي من حيث كمية التأثير: جزئية ـ كلية.

ومن حيث اتجاه التأثير: تقدمية ـ تراجعية.

ومن حيث مكان التأثير: تجاورية ـ تباعدية[٣].

وفيما يأتي الحديث عن كل نوع من تلك الأنواع الستة في صورة موجزة ومُبَسَّطة:

١ـ المماثلة الكلية التَّقدميَّة:

وهي أعلى درجات المماثلة، وفيها يتَّحد الصوتان المتتابعان في صوتٍ واحدٍ مشدَّد، ويؤثِّر الصوت الأول في الثاني ويجعله مثيلاً له إن لم يكن كذلك، فيحدث الإدغام[٤]؛ حيث يكون التأثير كبيرًا بين الأصوات فيتطابق الصوتان.

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٧، ٤٤٥، ٤٦٠.

(٢) الظواهر الصوتية عند سيبويه/ د. إبراهيم محمد البب، بحث في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد (٢)، سنة ١٣٨٩هـ ـ ٢٠١٠م ص٤٠.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية/ د. أنيس ص١٤٦، ١٤٧، والتجويد والأصوات/ د. نجا ص٩٨، ٩٩، والتطور اللغوي مظاهره وعلله ص٣١.٤٧.

(٤) الظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٠.

وفيها يكون اتجاه التأثير من الأصوات السابقة على الأصوات التي تليها، ومثال ذلك مُصَّبر، ومُزَّان من مصتبر ومُزتان[١]؛ حيث أُبْدلت التاء: طاءً في مصطبر ودالاً في مزدان، ثم أدغمت الطاء في الصاد، والدال في الزاي.

٢- **المماثلة الكلية التَّراجعية**:

وهذا النوع كسابقه يعتمد على الإدغام ولكن الصوت الثاني هو الذي يؤثر في الأول ويحوله إلى جنسه فيتحَّد به[٢]، وفيه يكون اتجاه التَّأثير للأصوات اللاحقة على الأصوات السابقة؛ نحو تحوُّل الواو في "وَعْظ" إلى تاء متأثرًا بتاء افتعل، ويكون التأثير فيه كبيرًا بحيث يتطابقان ويحدث الإدغام فيصير اتَّعظ من اوْتَعظ[٣].

٣- **المماثلة الجزئية التَّقدميَّة**:

وهذا النوع من المماثلة يتناول الصفة لا المخرج، وفيه يتطابق الصوت مع الآخر تطابقًا نطقيًا لا مخرجيًا[٤]؛ حيث يكون التأثير بين الأصوات المتفاعلة فيما بينها ضعيفًا، كأن نكتب حرفًا ونلفظ صوتًا من مخرجه. وفيها يكون اتجاه التأثير من الأصوات السابقة على الأصوات التي تليها. ونلاحظ هذا النوع عند إبدال الطاء من التاء في صيغة افتعل، إذا كانت الفاء ضادًا أو صادًا أو ظاءً نحو: اضطهد، اصطبر واظطلم وغيرها[٥].

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٦٧.٤٧٠، والصحاح ٥/٢١٣٢، ولسان العرب ٦/١٩٠٣ (زين)، والتطور اللغوي مظاهره وعلله/ د. رمضان عبدالتواب ص٢٥.
(٢) الظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٢.
(٣) ينظر: الكتاب ٤/٤٨٠، والعين ٢/٢٢٨، والصحاح ٣/١١٨١ (و ع ظ).
(٤) الظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٥.
(٥) الكتاب ٤/٤٨٠، والتطور اللغوي مظاهره وعلله/ د. رمضان عبدالتواب ص٢٥.

٤- المماثلة الجزئية التراجعية:

وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني في الأول[١]؛ حيث يكون اتجاه التأثير - مع ضعفه - للأصوات اللاحقة على الأصوات السابقة.

٥- المماثلة التجاورية:

وهي أن يكون الصوت المؤثر بعد أو قبل الصوت المتأثر مباشرة؛ نحو: "اتَّعظ"، و "ازدحم"[٢].

٦- المماثلة التباعدية:

وهي أن يفصل صوت أو أكثر بين المؤثر والمتأثر؛ كتفخيم السين في كلمة "سَوْط" بتأثير الطاء[٣].

درجات التأثر وأنواعه:

"الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها بعضها ببعض، فقد لا يعدو التأثر أن يكون مجرد انقلاب الصوت (أي: تغيُّر الصوت) من الجهر إلى الهمس أو العكس، وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره أن يفني في الصوت المجاور، فلا يترك له أثرًا، وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام"[٤].

---

(١) الظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٦.

(٢) ينظر: الصحاح ١١٨١/٣ (و ع ظ)، ١٩٤١/٥ (ز ح م)، والنحو الواضح ٤٤/٢، والمماثلة الصوتية في اللغة العربية/ لشادي مجلي عيسى ص١٤.

(٣) ينظر: المماثلة الصوتية في اللغة العربية/ لشادي مجلي عيسى ص١٤، ولعل الباحث يقصد بهذا التفخيم الذي يكون لهجة ما أو في العامية الحديثة؛ أمَّا في الفصحى أو قراءات القرآن فهو ليس مفخمًا.

(٤) الأصوات اللغوية/ د. أنيس ص١٤٨.

وتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصورًا على الأصوات (الصامتة) الساكنة، بل قد يكون أيضًا في أصوات اللين وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين.

ويمكن أن نقسم درجات التأثر ونسبته بين الصوامت إلى النقاط الآتية:

١- **الجهر والهمس (تغير الصفة فقط)**:

إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور، فقد يقلب أحدهما إلى نظيره الآخر، بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران، فحين نصوغ "افْتَعَلَ" من فعل فاؤه صوت مجهور، نلحظ أن "تاء" افتعل المهموسة تقلب أحيانًا إلى نظيرها المجهور وهو الدال؛ ليجتمع في الصيغة صوتان مجهوران. هذا هو السر فيما يحدث في الأفعال التي فاؤها (دال ـ ذال ـ زاي)، حيث نصوغ منها "افتعل؛ لأن كلاً من (الدال ـ والذال ـ والزاي)؛ صوت مجهور، وليس الأمر مقصورًا على الأفعال التي فاؤها (دال ـ ذال ـ زاي)؛ بل إنَّ القاعدة يمكن أن تطرد في كل فعل فاؤه صوت مجهور ... والشرط الأساس لتحقق تأثر الصوت بما يجاوره أن يكون التقاؤهما مباشرًا بحيث لا يفصل بينهما أي فاصل حتى لو كان هذا الفاصل حركة قصيرة ... ولا يتجاور في اللغة العربية صوت مجهور مع نظيره المهموس ... فإذا اقتضت صيغة من الصيغ أن يتجاور صوت مجهور مع نظيره المهموس مجاورة مباشرة وجب أن يقلب أحدهما بحيث يصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين[١].

٢- **انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس**:

(١) الأصوات اللغوية/ د. أنيس ص١٤٩، والتجويد والأصوات/ د. نجا ص٩٨، وأصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٦.

"الأصوات صنفان: منها ما يتخذ الهواء مجراه حين النطق بها خلال الفم، وهي الكثرة الغالبة في اللغة العربية، ومنها ما يتخذ الهواء معها مجراه من الأنف كالنون والميم. وقد لاحظ المحدثون أنَّ الصوت من النوع الأول قد ينتقل إلى نظيره من النوع الثاني؛ تحت تأثير ظروف لغوية خاصة. فللنون نظائر بين أصوات الفم مثل: الدال والتاء، لا فرق بين النون والدال إلا في أن الهواء يتخذ مجراه مع الأولى خلال الأنف، ومع الثانية خلال الفم، أما موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى مع كل منهما، فيكاد يتحد تمام الاتحاد، وكذلك الميم والباء..."[1].

٣- **انتقال مخرج الصوت** (**تغير المخرج فقط**):

من أنواع التأثر التي قد تعرض لكثير من الأصوات أن ينتقل الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر فيستبدل به أقرب الأصوات إليه في هذا المخرج الجديد، فإذا انتقلت التاء من مخرجها متَّجهة نحو أقصى الحنك، استبدل بها الكاف التي تشركها في الهمس والشدة، وقد روي النُّحاة أنَّ عصيت أصبحت عصيكا، في بعض اللهجات العربية القديمة، كما قول الراجز:

يَا ابْنَ الزُّبَيْر طَالَمَا عَصَيْكَا

وَطَالَمَا عَنَيْتَنَا إِلَيْكَا

لَنَضْرِبَنْ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَا[2]

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٠، وينظر: التجويد والأصوات/ د. إبراهيم نجا ص٩٩، ١٠٠.

(٢) الأبيات من الرجز، وهي لرجل من حمير في: خزانة الأدب ٤/٤٢٨، ٤٣٠، وشرح شواهد المغني ص٤٤٦، وبلا نسبة في العين ٥/٢٢٢ (ق ف و) ، والصحاح ٥ / ٢١٤١ (س ي ن)، وسر صناعة الإعراب ١/٢٨٠.

أراد: عَصَيْتَ. على أنه جاء في الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى الضمير... قال ابن جني في سر الصناعة: أبدل الكاف من التاء لأنَّها أختها في الهمس وكان سحيم[١] إذا أنشد شعرًا قال: أحسنك والله يريد: أحسنت[٢]. انتهى.

فقد انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك[٣]، وتكثر عملية انتقال المخارج بين الأصوات اللسانية بعضها وبعض، أمَّا الأصوات الشفوية والحلقية فلا يكاد ينتقل صوت من أصواتها إلى مخرج آخر في منطقة أخرى، ولكن ينتقل غيرها إليها[٤].

٤- **تغير المخرج والصفة معاً**:

"إذا تجاور صوتان متقاربان في المخرج، ومختلفان في بعض الصفات، فقد يقتضي الانسجام الصوتي قلب أحدهما إلى صورة الآخر، وبذلك ينتقل من

---

(١) سحيم: هو عبد بني الحسحاس ابن هند بن سفيان بن نوفل بن عصاب بن كعب يكني أبا عبدالله وهو زنجي أسود فصيح، توفى في حدود الأربعين للهجرة ... وكان سحيم في لسانه عجمة. ينظر: فوات الوفيات ٢/٤٤٠٤٢، ومعجم المؤلفين ٤/٢٠٦.

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب١/٢٨٠، والممتع في التصريف/ لابن عصفور ص٢٧٥، وشرح الكافية الشافية/ لابن مالك١/٧٧، ٤٦٢، وشرح شافية ابن الحاجب/ للرضي٣/٢٠٢، ٤/٤٢٥، ٤٢٦، وشرح الأشموني ١/٢٩٠، والأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس ص١٥٠، ١٥١، والتجويد والأصوات/ د. إبراهيم نجا ص٩٩، ١٠٠.

(٣) التجويد والأصوات/ د. إبراهيم نجا ص١٠٠، وأصوات اللغة العربية/ د. عبدالغفار هلال ص٢٣٦. وقال: ويشك الدكتور أنيس في صحة هذه الرواية بقلب التاء كافًا ويقول: إن الأَوْلى العكس؛ أي: قلب الكاف تاء؛لأنَّه الشَّائع في لغة الأطفال مثل: "تلب" في "كلب"، و(tat) في (cat)، والكبار يقولون: (إستنجرية) في (إسكندرية). ينظر: الأصوات اللغوية ص١٥١، ١٧٥. فيقول الدكتور عبدالغفار هلال: لكننا لا نرى في ذلك دليلاً كافيًا على الشك في صحة الرواية القديمة. ينظر: أصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٦، هامش(١).

(٤) الأصوات اللغوية/ د. أنيس ص٢٠٢، ٢٠٣، وأصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٦.

مخرجه إلى مخرج صاحبه، وتتغير معه صفاته، وهنا يتماثل الصوتان فيدغمان، وذلك أدعى إلى الاقتصاد في الجهد العضلي.

ومن أمثلة ذلك قلب الدال المبدلة من تاء الافتعال ذالاً أو زايا في بعض الصور النطقية مثل (اذَّكر) (ازَّان)، أو تحول الذال ـ الواقعة فاء لافتعل ـ دالاً مثل (ادَّكر)، فالدال من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والذال من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، والزاي من طرفه مع أصول الثنايا السفلى، وهي مخارج متقاربة كما ترى، إلا أن هذه الأصوات مختلفة في الشدة والرخاوة، فتحوَّلت الدال الشديدة إلى ذال أو زاي رخوة، وبذلك انتقلت من مخرجها إلى مخرج الصوت الذي تماثلت معه ، ولذلك يقول سيبويه: "والزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مُزْدان في مُزْتان؛ لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها، وليست مطبقة، كما أنها ليست مطبقة. ومن قال: مُصَّبِرٌ قال: مُزَّان"[١].

٥ـ **الإدغام**:

"هو إدخال حرف في حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعه واحدة"، وعرَّفه ابن جني بأنه: "تقريب صوت من صوت"[٢]. يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي: "وفي هذه المماثلة أو التقريب كما يراه ابن جني، يحدث التشابه بين الأصوات من ناحية المخرج أو الصفة؛ لأن التماثل أو التقارب لابد أن يشتمل على جهتين: جهة المخرج، وجهة الصفة والإدغام لا يحدث إلا بهذا[٣]،

---

(١) الكتاب ٤/٤٦٧، ٤٦٨، وينظر: أصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٧.

(٢) الخصائص ٢/١٤١، أصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٧.

(٣) اللهجات العربية في التراث ١/٢٩٢، وينظر: فلسفة ابن جني اللغوية/ د. حسن فرغلي ص١٧٩.

وقد قسَّمه القرَّاء إلى صغير وكبير، فالصغير هو ما سكن فيه الحرف الأول والكبير ما تحرك فيه[١].

وعلى هذا يلتقي المثلان والمتجانسان والمتقاربان ... وللإدغام حالتان:

أحدهما: يفني فيها أحد الصوتين في الآخر كالأمثلة التي أوردها القراء لإدغام المثلين والمتجانسين والمتقاربين، ويسمى إدغامًا كاملاً.

والثانية: لا يتم فيه فناء أحد الصوتين في الآخر، بل تبقى بعض آثار الصوت الفاني، كبقاء غنَّة النون بعد إدغامها في الواو أو الياء إذا تجاورتا وسبقت النون ساكنة كقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[٢]، ويسمى ذلك إدغامًا ناقصًا.

ولما كان الإدغام إدخالاً للصوت الأول في الصوت الثاني عُدَّ من التأثر الرجعي"[٣].

وهذا التأثر بين الأصوات ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامَّة؛ غير أنَّ اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه، واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلام الحديثة، مالت مَيْلاً كبيرًا إلى هذا التأثر، إذ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النطق، وقد يكون لهذا في هذه

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد/ لمحمد مكي نصر ص١١٠، وأصوات اللغة العربية/ د. هلال ص٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) الكهف: من الآية (١٧).

(٣) ينظر: أصوات اللغة العربية/ د. عبدالغفار هلال ص٢٣٩، وترتيل القرآن الكريم/ د. عبد الفتاح البركاوي ص٤٧، ٤٨.

اللهجات قوانين خاصة بتأثر الأصوات وميلها إلى الانسجام مع ما يجاورها، ممَّا أدى إلى تطور في النطق ببعض أصوات اللغة الفصيحة[١].

وقد فطن القُرَّاء منذ القدم لذلك، وخشوا أن يصيب النطق القرآني شيء من التغيير الصوتي . كما حدث في اللهجات الحديثة . فعنوا بوصف كل صوت عربي وصفًا دقيقا[٢]. ومن ذلك ما أورده السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، وهو ما دعاني إلى دراسة هذه الظاهرة (المماثلة الصوتية) من خلال ما أورده السمين الحلبي من قراءات قرآنية خلال كتابه هذا، إلا أنَّ ضيق مجال البحث ومتطلبات الدقة في الدراسات العلمية جعلتني أتناول المماثلة الصوتية بين الصوامت دون الصوائت في هذه الدراسة، على أن أتناول الشق الثاني (وهو المماثلة بين الأصوات) . بمشيئة الله تعالى . في مستقبل الأيام، وأبدأ بدراسة المماثلة الجزئية بين الصوامت، ثم المماثلة الكلية، وذلك فيما يأتي:

(١) ينظر: الأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس ص١٤٥.
(٢) المرجع السابق، . الصفحة نفسها.

الفصل الأول
المماثلة الجزئية بين الصوامت بـ (الإبدال) في الدُّرِّ المصون للسَّمين الحلبي

توطئة:

لا ريب أنَّ عملية الاقتصاد في الجهد العضلي هدف مقصود للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاور مخرجًا وصفة سهل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغير شيئًا منها، أمَّا إذا كانت متنافرة في ذلك، فإنَّ جهاز النطق يتعثر في التَّفوُّه بها، وهنا يلزم نوع من التَّغيُّر في بعض الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور[١].

فإذا كان النطق بالمتجاورين أمرًا صعبًا يستلزم جهدًا كبيرًا، لجأ صاحب اللغة إلى الطريق المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتيًا، ويسمى ذلك بالمماثلة[٢].

ومن الملاحظ أنّه كثيرًا ما تؤثر الأصوات في اللغة العربية على أصوات أضعف منها في إطار النسيج الكلامي لتحقيق الانسجام الصوتي، نحو:

- إبدال الطاء من التاء في صيغة افتعل؛ إذا كانت الفاء ضادًا أو صادًا أو ظاءً أو طاءً نحو: اضطهد، واصطبر، وأصلهما: اضتهد، واصتبر.

(١) أصوات اللغة العربية/ د. عبدالغفار هلال ص٢٣٠.
(٢) المرجع السابق ـ الصفحة نفسها.

- **وإبدال تاء افتعل دالاً إذا جاءت فاؤه "ذالاً" أو "زايًا" كما في: "اذدكر، أصلها: اذتكر، وازْدَهي أصلها: ازتهي[1].**
- **وكما في إبدال نون انفعل ميمًا في النطق إذا جاء بعدها باء، كما في: انبجس، وانبعث، وانبثق، وكما في إخفاء النون الساكنة أو التنوين في حروف "الصاد، والذال، والثاء، والجيم ..."، وهي حالة خاصة بتجويد القرآن الكريم.**

وهذا هو ما يعرف بالمماثلة الجزئية في الصوامت، والذي سيكون مدار الحديث في هذا الفصل سواء أكان التأثر تقدميًا أم تراجعيًا، وذلك من خلال ما أورده السَّمين الحلبي في كتابه "الدُّر المصون" من قراءات قرآنية، وذلك فيما يأتي:

(1) **ينظر: الكتاب/ لسيبويه ٤/٤٧٧، والظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٢.**

المبحث الأول
المماثلة الجزئية عن طريق التأثر التَّقدُّمي

المماثلة الجزئية عن طريق التأثر التَّقدمي هي ـ كما أشرتُ سابقًا ـ[1]: ما تتناول الصفة لا المخرج، وفيها يتطابق الصوت مع الآخر تطابقًا نطقيًا لا مخرجيًا؛ حيث يكون التأثير بين الأصوات المتفاعلة فيما بينها ضعيفًا، كأن نكتب حرفًا ونلفظ صوتًا من مخرجه، نحو: لفظ النون ميمًا في كلمة انبعث، وفيها يكون اتجاه التأثير من الأصوات السابقة على الأصوات التي تليها.

فالمماثلة الجزئية التقدمية هي التي يتأثر فيها الصوت الثاني بالأول في الصفة لا المخرج؛ ولذلك يقول الدكتور إبراهيم نجا: "فقد استبان لنا ممَّا سلف أن التقاء الصوت المهموس بالصوت المجهور قد يقلب أحدهما إلى الآخر ليكونا من لون واحد مهموسين، أو مجهورين، بشرط أن يكون التقائهما دون وسيط بينهما، ويكون الأول ساكنًا، ويبدو ذلك واضحًا في صيغة افتعل حين يكون الحرف الأول دالاً، أو ذالاً، أو زايًا؛ لأنَّ تلك الحروف مجهورة فلا يتناسب معها وجود المهموس بعدها؛ ولذلك تقلب إلى حرف مجهور؛ ولذلك لا تستعمل الأفعال المأخوذة من: ذكر، دان، زان، بوجود التاء، بل لابد من تحققها فتبدوا هذه الأفعال: اذكر، لا اذتكر، وادَّان لا ادتان، وازَّان لا ازتان"[2].

وسميت هذه المماثلة بالجزئية؛ لأن الصوت لا يفني في الصوت الآخر، وإنما يكون التطابق نطقيًا لا مخرجيًا ـ كما أسلفنا ـ وتعتمد هذه المماثلة على الإبدال الصوتي، دون الإدغام؛ لأنَّها مماثلة جزئية لا كلية، ويكون التماثل في الصفات لا

(١) ينظر: ص ٦٢٩ من البحث.
(٢) التجويد والأصوات/د. إبراهيم نجا ص٩٨.

المخارج كما في: التماثل بين الصاد والطاء في اصطبر، بدل: اصتبر بالتاء التي تخالف الصاد في صفة الاستعلاء والاستفال[١]... وقد عرض السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون" لهذه المماثلة الجزئية التقدمية بالإبدال[٢]، وذلك فيما أورده من قراءات قرآنية وتوجيه لها، وقد وقفتُ على كثير من ذلك بغية دراسته خلال هذا الفصل للتعرف على أبعاد هذه الظاهرة ومدى إسهام السمين الحلبي فيها، وذلك فيما يأتي:

(١) (إبدال الدّال من التّاء)

(أ) (مزتجر ـ مزدجر) :

قال السمين الحلبي ـ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٣]: ... قوله: مزدجر ... الدال بدل من تاء الافتعال. وقد تقدَّم[٤] أنَّ تاء الافتعال تقلب دالاً بعد الزاي والدال والذال؛ لأنَّ الزَّاي حرف مجهور، والتاء حرف مهموس، فأبدلوها إلى حرف مجهور قريب من التاء، وهو الدال[٥].

---

(١) ينظر: أصوات اللغة العربية/د. عبد الغفار هلال ص٢٣٦.

(٢) ما وقفت عليه خلال استقراء كتاب الدر المصون من المماثلة الجزئية هو ما كان بالإبدال فقط دون غيره من الأنواع الأخرى.

(٣) القمر: الآية (٤).

(٤) الدر المصون ٥٠٦/٣.

(٥) المصدر السابق ١٢٢/١٠.

الشرح والتحليل:

فقد أوضح السمين الحلبي كيفية حدوث المماثلة والانسجام الصوتي بين الزاي والدال في "مزدجر"، وأنَّ أصل الدال: تاء افتعل، وهي مهموسة والزاي مجهور، ممَّا يؤدي إلى الاختلاف في الصفات والتنافر وعدم الانسجام؛ ولذلك أبدلت التاء بحرفٍ مجانس للزاي في الجهر وهو الدال مع أنهما يختلفان في المخرج، إلا أنَّ الدال توافق التاء في المخرج؛ وذلك وفقًا للقاعدة التي قررها علماء اللغة[1]، وهي: أنَّ تاء الافتعال تقلب دالاً بعد الزاي والدال والذال؛ لأنَّها أصوات مجهورة والتاء مهموسة، فمراعاة للمماثلة والانسجام الصوتي تقلب التاء دالاً مجهورة، وهي من مخرج التاء.

يقول سيبويه: "والزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مزدان في مزتان؛ لأنه ليس شيء أشبه بـ(الزاي) في موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة، كما أنها ليست مطبقة"[2]، وقال ابن يعيش: "متى كانت فاء افتعل زاءً قلبت التاء دالاً، وذلك نحو ازدجر وازدهي وازدان وازدلف، والأصل ازتجر وازتهي وازتان وازتلف؛ لأنه افتعل من الزجر والزهو والزينة والزلف، فلما كانت الزاي مجهورة والتاء مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزَّاي في الجهر، قربوا صوت أحدهما من الآخر وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها

---

(١) ينظر: الكتاب/ لسيبويه ٤٦٧/٤، وسر صناعة الإعراب/ لابن جني ١٨٥/١، والخصائص ١٤٤/٢، والصحاح/ للجوهري ٢١٣/٥ (ز ي ن)، والمخصص/ لابن سيده ١٨٠/٤، والمفصَّل/ للزمخشري ٥١٦/١، وشرح المفصل/ لابن يعيش ٤٨/١٠، ٤٩، واللباب في علوم الكتاب/ للعكبري ٧٥/٦.

(٢) الكتاب ٤٦٧/٤.

بالزاي وهي الدال..."[١]، وهذا هو ما قاله كثير من علماء التفسير واللغة[٢]، ممَّا يدل على صحة ما ذهب إليه السمين الحلبي في هذه المماثلة الصوتية وإدراكه لأبعاد هذه الظاهرة.

تعليق واستنتاج:

فقد اتَّضح من خلال أقوال علماء اللغة والتفسير التي وردت في هذا الشَّأن، أنَّ ما حدث في (مزدجر) هو مماثلة جزئية تقدمية بين صوتين صامتين هما الزاي والدال المبدلة من التاء؛ حيث ظهر أنَّ المماثلة ليست تامَّة، وإنما هي عبارة عن إبدال للتاء المهموسة التي تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا عند مؤخرة اللَّثة[٣]، وهو مخرج الدال نفسه، فهو النظير المهموس للدال، والزاي صوت مجهور يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (بين الثنايا)[٤]. فهما

---

(١) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٤٨/١٠، ٤٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٨٥/٥، وتفسير الثعلبي ١٦٢/٩، وتفسير البغوي ٣٢٢/٤، والمحرر الوجيز/ لابن عطية ٢١٢/٥، وتفسير القرطبي ١٢٨/١٧، وروح المعاني/ للآلوسي ٢٦٩/٩، وبيان المعاني/ لعبد القادر بن ملاَّ العاني ٢٨٣/١، وتفسير حدائق الروح والريحان/ للشيخ محمد الأمين العلوي٢٣٧/٢٨، والتفسير المنير/ للزحيلي ١٤٥/٢٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن/ للقنوجي ٢٨٩/١٣.

(٣) فهو من الأصوات النَّطعية: والنَّطْع هو ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتَّحزيز، وهو موضع اللسان من الحنك ويشركها في هذا المخرج الطاء والدال. ينظر: العين/ للخليل ٥٨/١ (المقدمة)، وأصوات اللغة العربية/ د. حسن سيد فرغلي ص١٠٣، والمعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٣٠/٢.

(٤) فهو من الأصوات الأسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. ينظر: العين ٥٨/١ (المقدمة).

متقاربان في المخرج مختلفان في الصفات (الجهر والهمس) فوجب إبدال التاء بصوت يتَّفق مع الزاي في الجهر ومع التاء في المخرج وهو الدال، وكانت المماثلة ناقصة (جزئية)؛ لأنَّ الصوتين لم يدغما في بعضهما، وإنَّما هو مجرد إبدال فقط؛ وتقدُّميةٍ لأنَّ التأثير جاء من الزاي وهو متقدم على التاء؛ ولذلك يقول ابن منظور: "وازدجر كان في الأصل ازتجر، فقلبت التاء دالاً لقرب مخرجيهما، واختيرت الدال؛ لأنَّها أليق بالزاي من التاء"[١].

(ب) (تزتري ـ تزدري)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى:﴿...وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾[٢]: "...وتزدري: تَفْتَعِل من زَرَي يَزْرَي، أي: حَقَر، فأبدلت تاء الافتعال دالاً بعد الزَّاي، وهو مُطَّرد..." [٣].

الشرح والتحليل:

يشير السمين الحلبي بقوله: "... وهو مُطَّرد..." إلى القاعدة التي وضعها علماء اللغة في إبدال تاء افتعل دالاً إذا جاء قبلها أحد الحروف الثلاثة الدال، والذال، والزَّاي؛ وذلك تحقيقًا للمماثلة والانسجام بين الأصوات في المخارج والصفات، وبعدًا عن التَّنافر بين الأصوات؛ ذلك لأنَّ التاء صوت مهموس، والزاي والدال والذال كلاهم مجهور فيبدل من التاء المهموسة الدال، وهو صوت مجهور؛ لموائمة الزاي المجهور، وذلك من المماثلة الصوتية الجزئية التقدمية بين الصوامت.

---

(١) لسان العرب ١٨١٣/٣ (ز ج ر).
(٢) هود: من الآية (٣١).
(٣) الدر المصون ٣١٨/٦.

هذا وقد أشرت فيما سبق[١] إلى أنَّ مثل هذا الإبدال قد أقرَّه علماء اللغة والتفسير، وذلك كما في قول سيبويه: "الزاي تبدل لها مكان التاء دالاً..."[٢]، وقول ابن يعيش: "متى كانت فاء افتعل زاء قلبت التاء دالاً ... فلما كانت الزاي مجهورة والتاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج[٣] ...إلخ. وهذا هو ما قاله كثير من علماء اللغة والتفسير[٤]. وأكَّد ذلك الآلوسي بقوله: "... والأصل تزتري بالتاء، إلا أنها قلبت دالاً لتجانس الزاي في الجهر؛ لأنها من المهموسة"[٥].

فهذا ممَّا يدل على حدوث المماثلة والتقريب بين الزاي والتاء بإبدال التاء دالاً؛ لأن الدال مجهور والزاي كذلك فبينهما تقارب، خلافًا للتاء المهموسة.

تعليق واستنتاج:

نخلص مما تقدَّم: أنَّ الذي حدث في هذه الأمثلة هو قلب التاء المهموسة إلى صوت مجهور وهو الدال في (مزدجر، وتزدري)؛ لتتحقَّق المماثلة ويتم الانسجام الصوتي، فهذه المماثلة تعني قربًا في الصفات واتحادًا في المخرج. والغرض من ذلك التيسير في عملية النطق والاقتصاد في الجهد العضلي وذلك نتيجة التأثر بالمجاورة بين الأصوات.

---

(١) ينظر: ص ٦٥٢ من البحث.
(٢) الكتاب ٤٦٧/٤، وينظر: ص ٦٥١ من البحث.
(٣) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٤٨/١٠، ٤٩، وينظر: ص ٦٥١ من البحث.
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٤٨/٣، والتفسير البسيط/ للنيسابوري ٤٠٥/١١، ومشكل إعراب القرآن/ لمكي بن أبي طالب ٣٦٠/١، وتفسير القرطبي ٢٧/٩، واللباب في علوم الكتاب ٤٧٥/١٠، وزاد المسير في علم التفسير/ لابن الجوزي ٣٧٠/٢، والموسوعة القرآنية/ للإبياري ٢١٥/٤.
(٥) تفسير الألوسي (روح المعاني) ٢٤٣/٦، وينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم/ لمحمود صافي٢٥٦/٢.

(٢) (إبدال الطـــاء من التـــاء)

(أ) (اصتفي ـ اصطفى) :

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿... وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾[١]ـ: "...الاختيار، افتعال من صَفْوة الشيء، وهي خياره، وأصله: اصْتَفى، وإنمَّا قُلِبت تاء الافتعال طاءً مناسبة للصاد لكونها حرف إطباقٍ..."[٢].

الشرح والتحليل:

يشير السمين الحلبي في النَّص السابق إلى السبب في حدوث الإبدال بين هذين الصوتين (الطاء والتاء) في افتعل، الذي تقع فاؤه صادًا؛ حيث ذكر أنَّ السبب: هو مناسبة الطاء للصاد في صفة الإطباق ممَّا يحقق المماثلة والانسجام بين أصوات الكلمة بخلاف (التاء) التي تفتقد هذه الصفة وتتَّصف بالانفتاح[٣]، ممَّا يؤدي إلى التنافر والاختلاف مع الطاء ، ويؤدي إلى الصعوبة في نطق هذا اللفظ .

وهذا الذي ذهب إليه السمين الحلبي في هذه المماثلة الصوتية إنَّما هو يجسِّد الواقع اللغوي؛ حيث يقول الزجاج: "اصطفاه، ومعناه: اختاره، وهو افتعل من الصفوة، والأصل: اصتفاه فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء؛ لأنَّ التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة، كما أنَّ الصاد مطبقة، فأبدلوا الطاء من التاء؛ ليسهل النطق بما بعد الصاد..."[٤]، وهذا هو قول الرازي وغيره[١] من علماء اللغة والتفسير.

---

(١) البقرة: من الآية (١٣٠).
(٢) الدر المصون ١٢٣/٢، ١٢٦.
(٣) ينظر: أصوات اللغة العربية/ د. عيد الطيب ص٨٣، وأصوات اللغة العربية/ د. جبل ص١٩١، ٢٢٠.
(٤) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٣٢٨/١.

تعليق واستنتاج:

من الواضح أن السمين الحلبي لم يُصَرِّح في هذه الظاهرة بالمماثلة الجزئية التقدمية بين الصوامت شأنه شأن علماء اللغة القدامى كسيبويه وغيره، حيث ظهر من خلال ما سبق أنها إنما كانت جزئية لعدم فناء الطاء في الصاد فهي مماثلة جزئية؛ لأنَّها (إبدال فقط)، وتقدُّمية؛ لأنَّ الصاد المتقدمة هي المؤثرة في التاء، ورغم أنَّها جزئية إلا أنه قد تحقق بها التخفيف في الجهد العضلي والانسجام بين الأصوات وذلك لتقريب التاء بإبدالها طاءً وهو صوتٌ يماثل الصاد في الإطباق والاستعلاء، فكان النطق في اتجاه واحد دون تنافرٍ أو اختلاف.

(ب) (تصطلون ـ تصطلون) :

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿...لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٢]ـ: "...والطاء في تصطلون بدل من تاء الافتعال؛ لأنه من صلى بالنَّار"[٣].

---

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ٥٠٤/٦، وينظر: المحرر الوجيز/ لابن عطية ٢١٢/١، وتفسير القرطبي ١٣٣/٢، والتبيان في إعراب القرآن/ للعكبري ٢٥٩/١، وإعراب القرآن/ لأبي زكريا الأنصاري ص٢٠٦، وتفسير حدائق الروح والريحان ٢٩٤/٤، وجامع الدروس العربية/للغلاييني ١٢٤/٢.

(٢) النمل: من الآية (٧).

(٣) الدر المصون ٥٧٣/٨.

الشرح والتحليل:

لم ينصَّ السمين الحلبي في هذا الموضع على المماثلة الجزئية التَّقدمية بين الصاد والطاء في لفظ "تصطلون"، وإنَّما ذكر كيفية حدوث هذه المماثلة، وذلك عن طريق إبدال الطاء المطبقة من التاء المنفتحة، وذلك؛ لأنَّ الطاء المطبقة تلائم الصاد في الإطباق عكس التاء التي تؤدي إلى التنافر والاختلاف في نطق هذا اللفظ، ويبدو أن السمين الحلبي اعتمد على وضوح هذه المماثلة، فآثر الإيجاز واكتفى بالإشارة.

في حين فصَّل ابن يعيش وغيره من علماء اللغة القول في هذه المماثلة؛ حيث يقول ابن يعيش: "قد أُبْدلِت الطاء من التَّاء إبدالاً مطردًا، وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق، وهي أربعة الصاد والضاد والطاء والظاء، نحو: اصطبر يصطبر واضطرب يضطرب ... والأصل: اصتبر واضترب ... والعلَّة في هذا الإبدال أنَّ هذه الحروف مستعلية فيها إطباق، والتَّاء حرف مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه، فأبدلوا من التَّاء طاء؛ لأنَّهما من مخرج واحد، ألا ترى أنَّه لولا الإطباق في الطاء لكانت دالاً، ولولا جهر الدال لكانت تاءً فمخرج هذه الحروف واحد، إلا أنَّ ثَمَّ أحوالٌ تُفَرِّق بينهن من الإطباق والجهر والهمس، وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها، فيجانس الصوت، ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخفّ عليهم[1].

ويقول صاحب كتاب الجدول في إعراب القرآن: "... أصل الكلمة (تصطلون): تصتلون، ولكن حسب القاعدة التي تجنح دائمًا لتسهيل النطق، فعندما وقعت التاء بعد الصاد، إحداهما مرققة والثانية مفخمة، وقد نجم عن ذلك صعوبة

(١) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٤٦/١٠، وينظر: لسان العرب ٢٤٩١/٤ (ص ل ي).

في الانتقال لبعد المخرجين عن بعضهما، اقتضى قلب التاء طاءً لتوحد المخرجين أو تقاربهما، وبالتالي سهولة النطق بهما فتبصَّر...!"[١]. وهو ما ذهب إليه كثير من علماء التفسير[٢].

هذا ممَّا يدل على صحة ما ذهب إليه السمين الحلبي في إثباته لهذه المماثلة الجزئية التقدمية بين صوتي الصاد والطاء في تصطلون؛ حيث جاء التأثير من صوت الصاد المتقدم على التاء المتأخر فأبدل طاء، وهذا الإبدال يعدُّ مماثلة جزئية.

ويُعد الإبدال بين التاء والطاء في افتعل الذي فاؤه صوت مطبق ، كما في تصطلون واصطفى، واصطبر، مطَّرد، حتى إنَّ بعضهم ذكر أنَّ ذلك قاعدة صرفية، كما في قول بعض المفسرين، ومن ذلك ما ذكره صاحب تفسير حدائق الروح والريحان بقوله:".. لعلكم تصطلون: فيه الإبدال من تاء الافتعال؛ لأنَّ أصله تصتلون، فقلبت التاء طاء لوقوعها بعد حرف الإطباق، وهو الصاد على القاعدة الصرفية..."[٣]، كما ذكر صاحب الجدول في إعراب القرآن ذلك بقوله: "... ولكن حسب القاعدة التي تجنح دائمًا للتسهيل..."[٤]، وذكر بعضهم ذلك بقوله: "... فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الإطباق وهو الصاد قلبت طاء على القاعدة..."[٥].

---

(١) الجدول في إعراب القرآن/ لمحمود صافي ١٤٢/١٩.

(٢) كابن جزي في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) ٩٨/٢، وشمس الدين الخطيب في السراج المنير ٤٣/٣، وغيرهما من علماء التفسير واللغة.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان/ للشيخ محمد الأمين العلوي ٤٣٨/٢٠.

(٤) الجدول في إعراب القرآن/ لمحمود صافي ١٤٢/١٩.

(٥) إعراب القرآن وبيانه/ لمحي الدين درويش ١٦٨/٧.

تعليق واستنتاج :

ظهر من خلال ما سبق أنَّ الشرط الأساس لحدوث هذه المماثلة بالإبدال بين التاء والطاء في (تصتلون وتصطلون) وغيرها، هو أن تُسْبَق بحرفٍ من حروف الإطباق حتى تتمَّ المماثلة في المخرج والصفات، ومن ثمَّ الإبدال، ولذلك يقول الرضي: "... الطاء لا تجئ في مكان تاء الافتعال إلا إذا كان قبلها حرف إطباق، وهي مناسبة للتاء في المخرج ولما قبلها من حروف الإطباق بالإطباق فيغلب على الظن إبدال التاء طاء؛ لاستثقالها بعد حرف الإطباق ومناسبة الطاء لحرف الإطباق والتاء..."[١]، فهذا مما يدعم القول بالمماثلة الصوتية في (تصطلون)، ودورها في تخفيف ثقل النطق ومسايرةً للقاعدة التي تجنح إلى السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود العضلي.

(ج) (أضْتَرُهُ ـ أضْطَرُهُ) :

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿...فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾[٢]: "...واضطرَّ افتعل من الضُّرِّ، وأصله: اضْتَرَّ، فأبدلت التاءُ طاءً؛ لأنَّ تاء الافتعال تُبْدل طاءً بعد حروف الإطباق وهو متعدٍّ، وعليه جاء التنزيل..."[٣].

الشرح والتحليل:

أشار السمين الحلبي أثناء حديثه عن إبدال التاء طاءً في افتعل من الضُّرِّ؛ إلى العلة الداعية لهذا الإبدال وهو المماثلة والتجانس بين حروف الإطباق، وهي الهدف والغرض من هذا الإبدال، بخلاف التاء، فإنَّ مجيئها بعد حروف

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب/ للرضي ١٩٩/٣.

(٢) البقرة: من الآية (١٢٦).

(٣) الدر المصون ١١٣/٢.

الإطباق يؤدي إلى التنافر والصعوبة في نطق هذا اللفظ؛ وهذا يدل على عمق فكره اللغوي في إدراكه لهذه المماثلة الصوتية بين الصوامت، فلم يدع مثل هذا الموضع دون بيان ما فيه من تماثل صوتي وأسبابه وكيفية الوصول إلى هذا التماثل والبعد عن التنافر.

وما ذكره السمين الحلبي هو ما أكَّده علماء اللغة والتفسير، سواء أكان بين التاء والطاء بصفة عامَّة، أم في (أَضْتَرُّهُ وأَضْطَرُّهُ) بصفة خاصَّة، ومن ذلك ما ذكره ابن يعيش بقوله: "قد أبدلت الطاء من التاء إبدالاً مطردًا وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء ... إلخ[١].

وعلى ذلك فقد وافقت المماثلة في هذا اللفظ الشرط الذي لابد منه لحدوث هذه المماثلة بالإبدال بين التاء والطاء، وهي كونها مسبوقة بحرف من حروف الإطباق وهو الضاد، ولذلك يقول الأصبهاني: "... وأصل اضْطَرَّ: اضْتَرَّ، افتعل من الضرورة، صارت التاء طاء لمجاورة الضاد"[٢]؛ وهو ما ذكره ابن منظور وغيره[٣].

فهذا ممَّا يؤكد صحة هذه المماثلة الجزئية التقدمية بين الضاد والطاء في أضطره، حيث أثَّرت الضاد المطبقة في التاء فقلبت طاءً مطبقة مثلها دون إدغام فلذلك كان التماثل جزئيًا تقدميًا بين صوتين صامتين، وقد حقَّق التوافق والانسجام.

تعليق واستنتاج:

---

(١) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٤٦/١٠، ٤٧، وينظر: النص كاملاً في: ص٦٥٧ من البحث.

(٢) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث/ للأصبهاني ٣٢١/٢.

(٣) لسان العرب ٢٥٧٤/٤ (ض ر ر)، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٧٦/٢، والجدول في إعراب القرآن ٣٤٥/٢، وتفسير الألوسي ٣٨١/١.

ظهر من خلال ما سبق أنَّ الذي حدث في هذه الأمثلة هو عبارة عن قلب لصوت التاء المهموس إلى صوت الطاء المجهور لتحقق المماثلة ويتم الانسجام الصوتي بين صوتي الطاء والضاد في (أضطره) وأصلها (أضتره)، وصوتي الطاء والصاد في (اصطفى) وأصلها (اصتفى)، و(تصطلون) وأصلها (تصتلون)، وذلك عن طريق الاتحاد في المخرج والتقارب في الصفات، وذلك لغرض التيسير في عملية النطق والاقتصاد في المجهود العضلي وذلك عن طريق التأثر التقدمي بين الأصوات المتجاورة.

المبحث الثاني

المماثلة الجزئية عن طريق التأثر التراجعي

المماثلة الجزئية التراجعية: هي ـ كما أشرت سابقًا: ما يؤثِّر فيها الصوت الثاني في الأول؛ حيث يكون اتجاه التأثير ـ مع ضعفه ـ للأصوات اللاحقة على الأصوات السابقة، وهي جزئية؛ نظرًا لضعف التأثير فيها بحيث لا يفني الصوت الأول في الثاني، وإنَّما يقتصر التأثير على الإبدال فقط، ويكون التماثل في الصفات فقط دون المخارج[١].

هذا وقد عرض السَّمين الحلبي في كتابه "الدر المصون" لهذه المماثلة الجزئية التَّراجعية بالإبدال، وذلك فيما أورده من قراءات قرآنية وتوجيهٍ لها، ومن ذلك ما يأتي:

(إبدال الصاد من السين)

(١) (السراط ـ الصراط) :

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٢]: "... الصراط ... أصله السين، وقد قَرَأَ[٣] به قنبل[٤]، حيث وَرَد، وإنَّما

---

(١) ينظر: الظواهر الصوتية عند سيبويه ص٤٦، وص٦٤٠ من البحث.

(٢) الفاتحة: الآية (٦).

(٣) السراط بالسين هي قراءة قنبل في: التيسير في القراءات السبع/ لأبي عمرو الداني ص١٨، ١٩، والعنوان في القراءات السبع/ لابن خلف ص٦٧، والبحر المحيط ٤٥/١، وهي قراءة ابن كثير في: السبعة/ لابن مجاهد ص٥٠، وتفسير الثعلبي ١١٩/١، ولا تعارض فقنبل هو راوٍ لقراءة ابن كثير.

(٤) قنبل: هو محمد بن عبدالرحمن بن محمد المكي المخزومي بالولاء أبو عمر الشهير بقنبل، من أعلام القراء كان إمامًا متقنًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز في عصره ورحل إليه الناس من الأقطار، وتوفى بالحجاز سنة (٢٩١هـ). ينظر: غاية النهاية ١٦٥/٢، والوافي بالوفيات ٢٢٦/٣.

أبدلت صادًا لأجل حرف الاستعلاء وإبدالها صادًا مطردٌ عنده نحو: صَقَر في سَقَر، وصُلْح في سُلْح، وإصْبَع في إسبَع، ومُصَيْطر في مُسَيْطر، لما بينهما من التقارب، وقد تُشمُّ الصاد في الصراط ونحوه زايًا... ولم ترسم في المصحف إلا بالصاد مع اختلاف قراءاتهم فيها كما تقدم"[1].

الشرح والتحليل:

حدَّد السمين الحلبي . في النَّص السَّابق . المماثلة الصوتية في لفظ "الصراط"، وبيَّن أنَّ أصله: السراط" بالسين، وأنَّ ما حدث هو إبدال للسين: صادًا وذلك لما في الصَّاد من الإطباق والاستعلاء وهي صفات لا توجد في السين؛ والطاء فيها من التفخيم ما فيها، فأثَّرت على مجاورها المتقدم وهو السين فقلبت صادًا لتلائم الطاء في تفخيمها؛ ولما كان التأثير على السين من الطاء وهي متأخرة عن السين كانت المماثلة تراجعية، ولما كان التأثير ضعيفًا (في الصفات فقط)، وأحدث إبدالاً دون إدغام، كانت المماثلة جزئية بين الصوامت، فهي مماثلة جزئية تراجعية، أدركها وأثبتها السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون"، رغم أنه لم يستعمل هذه المصطلحات الصوتية شأنه شأن علماء اللغة القدامى، وإنَّما ذكر أنَّ هذا الإبدال مطرد، وأطلق على المماثلة: لفظ التقارب.

وممَّا يؤكد صحة ما ذهب إليه السمين الحلبي في هذه المماثلة ما ذكره الأزهري بقوله: "... وقول الله عز وجل: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، كتبت بالصاد والأصل: السين ... وقال الفرَّاء: إذا كان بعد السين طاء أو قاف أو غين أو خاء فإن تلك السين تقلب صادًا. قال: ونفر من بلعنبر[2] يصيِّرون السين إذا كانت

---

(1) الدر المصون ١/٦٤، ٦٥.

(2) بلعنبر: هم بنو العنبر بن عمرو، بطن من تميم، من العدنانية، وهم بنو بلعنبر بن عمرو بن تميم بن مر ابن أد بن طابخة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا يسكنون

مقدمة، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء: صادًا. وذلك أنَّ الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت، فقلبت السين صادًا صورتها صورة الطاء، واستخفوها ليكون المخرج واحدًا، كما استخفوا الإدغام، فمن ذلك قولهم: السراط والصراط، قال: وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب؛ قال: وعامة العرب تجعلها سينًا ..."[١]، ويتضح لنا من كلام الأزهر وغيره من اللغويين أنَّ مقتضى قاعدة التعاقب بينهما أنَّ الأصل هو السين . والأفصح هو الصاد . كما قال السمين الحلبي وغيره من علماء اللغة، أي أنَّ لغة قريش جاءت على القليل،والأكثر الشائع هو السين؛ حيث هي على أكثر الاحتمالات لغة بطن أو عدَّة بطون قليلة من تميم[٢]. وهذا هو ما قاله الجوهري[٣]، وذكره ابن منظور[٤]، والفيومي[٥].

فالتَّناسب والمضارعة بين الصاد والطاء هي الأعلى والأفصح وإن كان أقل في الاستعمال؛ ولذلك يقول ابن سيده: "قال أبو علي: المضارعة في هذا النحو أعلى فإن قلت فإنَّ الأصل السين؛ لأنَّ الصاد مطبقة مفخمة عنها والدليل على ذلك قولهم: سُقْت، وأنَّ الإطباق فرع، فإنَّه كذلك، ولكنهم ممَّا يَدَعُون الأصول حرصًا على التشاكل والتناسب، وأن يجعلوا العمل من وجه واحد ولذلك نختار الصراط بالصاد وعلى هذا تجري جميع الفروع المستحسنة التي ذكرها سيبويه كالإدغام

البصرة وفيهم كثرة. ينظر: الإنباه على قبائل الرواة/ للقرطبي ص٥٥، ونهاية الأرب/ للقلقشندي ٦٨/١، ومعجم قبائل العرب/ لعمر رضا كحالة ١٠٣/١.

(١) لم أقف على قول الفرَّاء في كتبه كـ(معاني القرآن وغيره).وينظر: في تهذيب اللغة ٢٣٢/١٢(س ر ط).

(٢) ينظر: فلسفة ابن جني اللغوية/ للدكتور حسن فرغلي ص٦٩.

(٣) الصحاح ١١٣١/٣ (س ر ط).

(٤) لسان العرب ١٩٩٣/٣ (س ر ط).

(٥) المصباح المنير ٢٧٤/١ (س ر ط).

والإمالة"[١]. ومعنى كلام أبي علي الذي نقله ابن سيده: أنَّ السين هي الأصل ولكن أبدلت صادًا؛ حرصًا على التشاكل والتناسب في الكلام ومراعاة للانسجام؛ لأنَّ الصاد مطبقة وهي تناسب الطاء في الإطباق والاستعلاء، فقد ترك الأصل لأجل الانسجام والتناسب، وكذلك في الإدغام والإمالة، فإن الأصل الفك، والفتح، ولكن جاء بالفرع المستحسن وهو الإدغام، والإمالة؛ حرصًا على التشاكل والانسجام في الكلام، فالمقصود بالفروع المستحسنة ما يأتي خلافًا للأصل كالإدغام والإمالة، والصاد في صراط وغيرها. وهذا ما أكَّده الخطابي[٢]، والسمرقندي[٣]، وابن فارس[٤]، والثَّعلبي[٥]، وابن عطية[٦].

وعن مسوغ الإبدال وكيفية حدوث هذه المماثلة يقول ابن يعيش: "... إنَّما ساغ قلب السين صادًا إذا وقعت قبل هذه الحروف (الغين والخاء والقاف والطاء) من قبل أنَّ هذه الحروف مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستفل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي؛ لأنَّ ذلك ممَّا يثقل، فأبدلوا من السين صاد؛ لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف، وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب. فإن تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ فيها متقدمة؛ لأنها إذا كانت متأخرة كان المتكلم منحدرًا بالصوت من عالٍ، ولا

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الفارسي ٥١/١، ٥٢، والمخصص ٤٣٦/١.
(٢) غريب الحديث ٣٨٣/١.
(٣) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ١٨/١.
(٤) المقاييس ٣٤٩/٣ (ص ر ط).
(٥) تفسير الثعلبي ١١٩/١.
(٦) المحرر الوجيز ٧٤/١.

يثقل ذلك ثِقَل التَّصعيد من منخفض، فلذلك لا تقول في قِسْت قِصْت ولا في: يخسر المتاع: يخصر المتاع ..."[١].

هذا وقد ذكر كما الدكتور رمضان عبدالتواب سبب آخر لإبدال السين صادً؛ حيث قال: "وهذه إحدى خصائص صوت الراء في العربية؛ إذ يميل هذا الصوت إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له مثل "صور" في "سور" و"أخرص" في "أخرس"، و"السراط والصراط؛ بمعنى الطريق وغير ذلك"[٢].

تعليق واستنتاج:

من خلال ما سبق ظهر أنَّ الدكتور رمضان عبدالتواب يخالف القدامى والجمهور من علماء اللغة في سبب هذه المماثلة بإبدال السين صادًا في الصراط؛ حيث يرى: أنَّ السبب هو مجاورة السين للراء، وأنَّ هذا من خصائص صوت الراء وهو تفخيم الأصوات المجاورة له، في حين ذهب الفرَّاء والأزهري والسمين الحلبي وغيرهم إلى أنَّ السبب هو مجاورة الطاء وليس الراء وأن الاستعلاء والإطباق الذي في الطاء أثَّرَ على السين فقلبت إلى صاد وهو مماثل للطاء في صفاته ومقارب له في المخرج. وأعتقد أنَّ ما ذهب إليه الفرَّاء وغيره هو الأقرب للأصوات وهو ما أُرَجِّحه، وأنَّ ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبدالتواب ينطبق على العامية فقط خاصَّة، وأنه بصدد الحديث عن التطور اللغوي في العامية مظاهره وعلله، والذي يدل على ذلك أنَّ الدكتور رمضان عبدالتواب يقول عن الطور الذي أصاب العامية: وقد روي مثل ذلك في العربية الفصحى[٣].

---

(١) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٥١/١٠، ٥٢.
(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله/ د. رمضان عبد التواب ص٣٨، وينظر: القلب والإبدال/ لابن السكيت ص٤٢، ٤٣، والإبدال/ لأبي الطيب اللغوي ١٧٨/٢.
(٣) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله ص٢٦، ٢٧، ٣٩.

(٢) (مسيطر ـ مصيطر)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[١]:. "قوله: "بمصيطر: العامَّة على الصاد، وقنبل في بعض طرقة وهشام[٢] بالسين، وخلف[٣] بإشمام الصاد زايًا بلا خلاف، وعن خلَّاد[٤] وجهان"[٥]. وقال في موضع آخر: ... وأصله (يعني: الصَّاد): السين، وقد قرأ به قنبل حيث ورد، وإنَّما أبدلت صادًا لأجل حرف الاستعلاء، وإبدالها صادًا مطرد عنده نحو: صقر في سقر، وصلح في سلح ... ومصيطر في مسيطر، لما بينهما من التقارب..."[٦].

الشرح والتحليل:

بدا ممَّا ذكره السمين الحلبي: أنَّ المماثلة الجزئية التراجعية بين الصاد والطاء في (مُصَيطر) هي ما أجمع عليه جمهور القرَّاء وذلك في قوله: "العامَّة على الصاد"، كما ذكر المسوغ الصوتي لهذا الإبدال، ومن ثمَّ المماثلة والانسجام، وذلك في قوله: "وإنما أبدلت صادًا (يعني السين) لأجل حرف الاستعلاء، وهذا الإبدال مطرد". والعلة: هي التقارب بين الصاد والطاء في الصفات من الاستعلاء والإطباق

---

(١) الغاشية: الآية (٢٢).

(٢) هشام: بن عمار بن نصير السلمي أبو الوليد بن ميسرة، من القراء المشهورين من أهل دمشق، خطيبها ومحدثها وتوفى فيها سنة (١٥٣هـ). ينظر: غاية النهاية٢/٣٥٤، وميزان الاعتدال٣/٢٥٥، والإعلام٨/٨٧.

(٣) خلف: بن هشام البزار الأسدي أبو محمد: أحد القراء العشرة، كان عالمًا عابدًا ثقة، أصله من فم الصِّلح (بكسر الصاد) قرب واسط، واشتهر ببغداد وتوفى بها سنة (٢٩٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد ٨/٣٢٢، والأعلام ٢/٣١١.

(٤) خلَّاد: بن خلاد الشيباني، مولاهم الصيرفي، من كبار القراء، قال ابن الجزري: كان إمامًا في القراءة ثقة عارفًا محققًا مجودًا أستاذًا، توفى في الكوفة سنة (٢٢٠هـ). ينظر: غاية النهاية ١/٢٤٧، والأعلام ٢/٣٠٩.

(٥) الدر المصون ١٠/٧٧١.

(٦) الدر المصون ١/٦٤.

والتفخيم وغيرها بخلاف السين، وهذا ما نصَّ عليه كثير من علماء اللغة والمفسرين كالأزهري في قوله: "... وقال الفرّاء: إذا كان بعد السين طاء ... إلخ النصَّ السابق[1]. وابن يعيش وغيره[2]. في حين ذهب بعض القراء إلى أنَّه بالسين على الأصل، وذهب بعضهم الآخر إلى أنه بإشمام السين صوت الزَّاي.

مما يدل على صحة هذه المماثلة ومدى إدراك السَّمين الحلبي لهذه الظاهرة الصوتية وبيان كيفية حدوثها في هذا الموضع من القرآن وورود في القراءات القرآنية.

تعليق واستنتاج:

من الواضح أنَّ هذه المماثلة محل خلاف بين قُرَّاء القرآن الكريم؛ حيث ذهب العامَّة (جمهور القُرَّاء) إلى هذه المماثلة وكونها هي القراءة الصحيحة في (مصيطر) بالصاد للتقارب والتماثل بين الصَّاد والطاء في الإطباق والاستعلاء، والتقارب في المخرج، وهذا الرأي هو الأنسب لما فيه من التخفيف والاقتصاد في المجهود العضلي، والانسجام في الكلام.

وذهب بعضهم كـ(قنبل، وخلف، وهشام) إلى كونه بالسين دون مماثلة ولا إبدال على الأصل، أو على إشمام السين صوت الزَّاي، وأعتقد أنَّ الرأي الأول هو الأقرب للأصوات لما فيه من التناسب والانسجام في الكلام والتخفيف يتطلَّب هذا الإبدال.

---

(1) تهذيب اللغة ٢٣٢/١٢ (س ر ط)، وينظر: ص٦٦٣ من البحث.

(2) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ٥١/١٠، ٥٢، وينظر: لسان العرب ٢٤٤٣/٤ (ص ر ط)، والمخصص ٤٣٦/١، وزاد المسير ٤٣٦/٤، والمحرر الوجيز ٤٧٥/٥، والقراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية/ د. محمد سالم محيسن ٢١٢/١.

تعقيب

هذا وقد وضَّح الدكتور حسن فرغلي العلة في حدوث هذا الإبدال والانسجام بين الأصوات بقوله: "يظهر من الاستقراء الجيد لما سبق من نصوص لغوية تم نقلها عن ابن جني وغيره، أنَّ اللغويين قد وجدوا أن هذا النوع من الإبدال المتأثر بمجاورة السين لغيرها، قد تم حين يكون بعد الأحرف الأربعة: الطاء، والقاف، والغين، والخاء، والسبب في ذلك أنَّ هذه الحروف كلها من الحروف المستعلية، والصاد أيضًا من الحروف المستعلية، والاشتراك في بعض الصفات مسوِّغ من مسوغات الإبدال بين الحروف الصامتة. فالصاد حرف مهموس، وهو أحد الحروف المستعلية التي تمنع الإمالة، والزاي والسين والصاد من حيز واحد، وهذه الثلاثة أحرف هي الأسلية؛ لأنَّ معناها من أَسَلَة اللسان، وهي مستدق طرفه"[١].

ويضيف الدكتور حسن فرغلي قوله: "كما أنَّه يَتضح لنا من كلام اللغويين إن مقتضى قاعدة التعاقب بينهما أن تكون السين هي الأصل، أو الأفصح ـ وهو ما قاله السمين الحلبي وغيره ـ أي لغة قريش على الأقل؛ لأنَّ قريشًا كانت تتخيَّر من اللغات أفصحها، وأن تكون الصاد هي الأقل فصاحة؛ إذ هي على أكثر الاحتمالات لغة بطن أو عدَّة بطون قليلة من تميم، كما أسلفنا، وإن كان ابن منظور قد ساوره الشك في مدى صحة أو جودة اللغتين السين أم الصاد، فطورًا يقول: إن السين أعلى، وفي آخر يقول: إنَّ الصاد أعلى[٢].

---

(١) فلسفة ابن جني اللغوية ص٦٨، ٦٩.

(٢) المرجع السابق ص٦٩.

وأعتقد أنَّ الفصاحة تكمن في التناسب الانسجام بين الصاد والطاء في الإطباق والاستعلاء، بخلاف السين التي تخلو من هذه الصفة؛ ولذلك كان الصاد اختيار قريش وهو الأفصح والأعلى، والسين هي الأصل، ولذلك كان للماثلة دورٌ رئيس في فصاحة هذه الألفاظ.

الفصل الثاني
المماثلة الكلية بين الصوامت بـ(الإدغام) في الدُّرِّ المصون للسمين الحلبي

توطئة:

"إذا تجاور صوتان متقاربان في المخرج، ومختلفان في بعض الصفات فقد يقتضي الانسجام الصوتي قلب أحدهما إلى صورة الآخر، وبذلك ينتقل من مخرجه إلى مخرج صاحبه، وتتغير معه صفته، وهنا يتماثل الصوتان فيدغمان، وذلك أدعى إلى الاقتصاد في الجهد العضلي[١].

والإدغام: "هو إدخال حرف في حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعه واحدة"[٢]، وعرَّفه ابن جني بأنه: "تقريب صوت من صوت"[٣]، وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة[٤].

وقد قسَّمه القراء إلى صغير وكبير، فالصغير: هو ما سكن فيه الحرف الأول، والكبير: ما تحرك فيه"[٥].

وعلى هذا يلتقي المثلان والمتجانسان والمتقاربان.

فالمثلان هما: الصوتان المتحدان في المخرج والصفة، كالتاءين والراءين.

---

(١) أصوات اللغة العربية/ د. عبد الغفار هلال ص٢٣٧.
(٢) نهاية القول المفيد/ لمحمد مكي نصر ص١٠٩، والتجويد والأصوات/ د. نجا ص١٠١.
(٣) الخصائص ٢/١٤١.
(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ للدكتور عبده الراجحي ص١٥٠.
(٥) نهاية القول المفيد ص١٠٩، ١١١، ١١٢، والإتقان في علوم القرآن/ للسيوطي ١/٣٢٤.

والمتجانسان هما: الصوتان المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة، كالتاء والطاء، والسين والصاد.

والمتقاربان هما: الصوتان اللذان بينهما تقارب في المخرج أو الصفة أو فيهما كالدال والسين أو الشين والذال والزاي واللام مع الراء[١].

فإذا سكن الأول وتحرك الثاني في المثلين فالإدغام واجب، وهذا خارج عن نطاق التأثر والتأثير الذي نحن بصدده في تجاور الأصوات على نحو يدعوها إلى التماثل، والانسجام الصوتي ... أمَّا لقاء المتجانسين والمتقاربين فهو مجالٌ خَصْبٌ لتحقيق هذا التأثر والانسجام[٢]. ومما ورد من ذلك في الدر المصون ما يأتي:

(١) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٢٤، وأصوات اللغة العربية/د.هلال ص٢٣٨.

(٢) أصوات اللغة العربية/ د. عبد الغفار هلال ص٢٣٨.

المبحث الأول

الإدغام بين المتجانسين

المتجانسان هما . كما أشرت سابقًا[١]ـ الصوتان المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة كالتاء والطاء، والسين والصاد[٢]. وعند الإدغام يضم الصوت السابق إلى اللاحق ويصهرا معًا؛ بحيث ينطق بالصوتين صوتًا واحدًا من جنس اللاحق[٣]، وقد يكون هذا النوع من الإدغام (المماثلة الكاملة) في كلمة واحدة، أو في كلمتين بلا فصل (من سكت أو وقف)، وممَّا ورد من النوع الأول في الدُّر المصون ما يأتي:

أولاً ـ في كلمة واحدة بلا فصل

(١) (إدغام التَّاء في الثَّاء)

(**تثاقلتم ـ اثَّاقلتم**) :

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿... اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[٤]ـ: "... اثَّاقلتم: أصله: تَثَاقَلْتُم، فلما أريد الإدغام سكنت التاء فاجتلبت همزة الوصل..."[٥].

الشرح والتحليل:

المماثلة في هذا الموضع مماثلة كلية تراجعية بالإدغام بين الثاء والتاء؛ حيث تأثرت التاء في بداية الكلمة بالثاء، وهي نظيرتها في صفة الهمس، مع

---

(١) ينظر: ص٦٧٢ من البحث.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ٣٠/١، وترتيل القرآن الكريم/ د. البركاوي ص٤٤.
(٣) اللهجات في الكتاب لسيبويه/ لصالحة راشد ص١٨٧.
(٤) التوبة: من الآية (٣٨).
(٥) الدر المصون ٤٩/٦.

اختلافهما في المخرج؛ حيث إن التاء من الحروف النطعية[١]، وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا[٢]، والثاء من الأصوات اللثوية[٣]، وهو طرف اللسان مع أطراف الثنايا[٤]، فسكنت التاء وأدغمت في الثاء بعد إبدالها ثاءً مماثلة، واجتلبت همزة الوصل للنطق بالساكن (أول المدغمين).

وقد أشار السمين الحلبي إلى ذلك دون تفصيل؛ حيث ذكر الأصل وهو "تثاقلتم"، ثم التسكين للتاء وإدغامها في الثاء وجلب همزة الوصل لتعذر البدء بساكن، وقد أكَّد ذلك كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكره الأخفش[٥] بقوله: "... وقال "اثَّاقَلْتُم إلى الأَرْض"؛ لأنَّه من تثاقلتم فأدغم التاء في الثاء فسكنت فأحدث لها ألفًا ليصل إلى الكلام بها"[٦]، وقال الطبري: "...لأنَّ التاء مدغمة في الثاء، ولو أسقطت الألف وابتدئ بها، لم تكن إلا متحركة فأحدث الألف لتقع الحركة بها ..."[٧]، وهذا هو ما قاله الزجاج وغيره[٨].

---

(١) النطعية؛ لأنَّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهو ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز. ينظر: العين ٥٨/١ (المقدمة)، والمعجم الوسيط ٩٣٠/٢ (ن ط ع).

(٢) سر صناعة الإعراب ٤٧/١، وأصوات اللغة العربية/ د. جبل ص٢٢٠.

(٣) سميت لَثَوِيَّة؛ لأن مبدأها من اللَّثَة. ينظر: العين ٥٨/١ (المقدمة).

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٧/١، وأصوات اللغة العربية/ د. عيد الطيب ص٨٦.

(٥) الأخفش: هو الأخفش الأوسط واسمه سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ثم البصري، نحوي، نحوي، عالم باللغة والأدب، له مصنفات منها: تفسير معاني القرآن، توفى سنة (٢١٥هـ). ينظر: إنباه الرواة ٣٦/٢، والأعلام ١٠١/٣، ١٠٢.

(٦) معاني القرآن/ للأخفش الأوسط ٣٥٨/١.

(٧) تفسير الطبري ٢٥٢/١٤.

(٨) معاني القرآن/ للزجاج ٤٤٧/٢، وينظر: المحرر الوجيز ٣٤/٣، وتفسير النسفي ٦٧٩/١، وباهر البرهان/ للنيسابوري ٥٩٠/١، وزاد المسير ٢٥٩/٢، وتفسير الثعالبي ٤٦/٥، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٠...، وغيرها الكثير.

هذا وقد وضح القرطبي العلة في هذه المماثلة بقوله: "... أُدْغِمت التاء في الثاء لقربها منها واحتاجت إلى ألف الوصل لتصل إلى النطق بالساكن..."[١]، وأضاف ابن يعيش بقوله: "اعلم أن تفعَّل وتفاعل إذا كان فاء الفعل فيه حرفًا يدغم فيه التاء، جاز إدغامها وإظهارها، والحروف التي تدغم فيها التَّاء: التَّاء، والطَّاء، والدَّال، والظَّاء، والذَّال، والثَّاء، والضَّاد، والسين، والشين، والجيم، فإذا وقع شيءٌ من هذه الحروف بعد التاء، وآثرت الإدغام، أدغمت التاء فيمَا بعدها. ولما أدغم دخلت ألف الوصل ضرورة الابتداء بالساكن ... ولم يجز أن تبتدئ بساكن فأَدخلت ألف الوصل[٢].

تعليق واستنتاج:

نستطيع من خلال أقوال العلماء التي سبق ذكرها أن نخلص إلى أنَّ تاء (تفعَّل) أو (تَفَاعَل) تدغم فيما بعدها إذا كان أحد حروف "التاء أو الطاء أو الدال أو الظاء أو الذال أو الثاء أو الضاد أو السين أو الشين أو الجيم"، وفي هذا الموضع قد تجاور صوت التاء مع صوت الثاء، وهما متقاربان في المخارج والصفات، فجاز الإدغام والإظهار وعند الإدغام سكن الأول فوجب الإتيان بهمزة الوصل؛ لأنه لا يُبْدَأ بساكن، فالمماثلة قد تحققت من خلال الإدغام بين هذين الصوتين، والإدغام من مظاهر التخفيف والانسجام في النطق بخلاف الإظهار، ولذلك صار قاعدة في اللغة وكثر مجيئه في القرآن، كما ذكر الشنقيطي في قوله: "... والمقرر في علم العربية: أنَّ كل ماضٍ على (تفاعل) أو على وزن تفعَّل إذا تقاربت حروفه الأولى، يكثر في اللغة العربية إدغام بعضها في بعض واجتلاب همزة الوصل لإمكان النطق بالساكن وهذا يكثر في القرآن في تفاعل وتفعَّل كقوله هنا في (تفاعل): اثَّاقلتم إلى الأرض

(١) تفسير القرطبي ١٤٠/٨، وينظر: الجدول في إعراب القرآن ٣٣٩/١٠.
(٢) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ١٥٢/١٠.

أصله تثاقلتم..."[١]. وهذا ما يفهم من كلام السمين الحلبي رغم أنَّه لم يُصَرِّح بذلك.

ومما يؤكد ما سبق مجيء هذه المماثلة في لفظ (اثَّاقلتم) على وجه واحد وهو الإبدال ثم الإدغام؛ حيث المماثلة الصوتية الكلية بتأثير تراجعي من الثاء على التاء في "تثاقلتم"، وصيرورته "اثَّاقلتم" كما ذكر السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون"، وقد وضَّح الدكتور عبدالغفار هلال المُسَوِّغ الصوتي لهذه المماثلة بقوله: "وتقليلاً للجهد العضلي حولت التاء إلى ثاء فتغيَّر المخرج وتغيَّرت الصفة كذلك ثم أدغمتا"[٢].

(٢) (إدغام التاء في الدال)

(أ) (تَدَارَك ـ ادَّارَك)

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[٣]: "ادَّراك ... والأصل: تدارك وبه قرأ أُبَيٌّ[٤]،[٥]، فأريد إدغام الثاء في الدال فأبدلت دالاً..."[٦]. وفي موضع آخر يقول: "... وقرأ جمهور القراء "بل ادَّارك،

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير/ للشنقيطي ٥/٥٠٠.
(٢) أصوات اللغة العربية ص٢٣٧.
(٣) النمل: من الآية (٦٦).
(٤) أُبَيٌّ: هو أُبَيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار من الخزرج، كان قبل الإسلام حبرًا من أحبار اليهود، مطلعًا على الكتب القديمة، كان من كتاب الوحي، توفى سنة (٢١هـ). ينظر: الاستيعاب/ للقرطبي ١/٦٥، وأسد الغابة ١/١٦٨، ومعرفة القراء الكبار/ للذهبي ص١٣، وغاية النهاية ١/٣١.
(٥) القراءة في مختصر شواذ القرآن ص١١١، والمحتسب/ لابن جني ٢/١٤٣، والبحر المحيط ٨/٢٦١.
(٦) الدر المصون ٨/٦٣٥.

أصله: تدارك، أدغمت التاء في الدال بعد أن أبدلت ثم احتيج إلى ألف الوصل، وقرأ أبي بن كعب فيما روي عنه "تدارك"..."[١].

الشرح والتحليل:

أثبت السمين الحلبي المماثلة الكلية التراجعية بالإدغام في ادَّارك؛ حيث أدغمت التاء في الدال بعد إبدال التاء التي في الأصل (تدارك) وإسكانها، وجلب همزة الوصل؛ ليتوصل إلى النطق بالساكن، فقد وضَّح السمين هذه المماثلة دون استعمال للمصطلحات السابقة، شأنه شأن قدامى اللغويين كسيبويه وابن جني وغيرهما.

هذا وقد توافق قول السمين الحلبي في: تماثل الدال والتاء في لفظ (ادَّارك)، مع ما ذكره كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكره الطبري بقوله: "وقوله: "بل ادَّارك علمهم في الآخرة" اختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر[٢]، وعامَّة قُرَّاء أهل الكوفة (بل ادَّارك) بكسر اللام من بل، وتشديد الدال من ادَّارك بمعنى: بل تدارك علمهم، أي تتابع علمهم ... ثم أدغمت التاء في الدال..."[٣]، والبناء الدمياطي أكد ذلك بقوله: "... والأصل تدارك بمعنى تتابع فأريد إدغام التاء في الدال فأبدلت دالاً وسكنت فتعذر الابتداء بها فاجتلبت همزة الوصل فصار ادَّارك فانتقل من تفاعل إلى افتاعل ثم افَّاعل) ..."[٤]، وقد وضَّح ذلك ابن يعيش . كما سبق .[٥].

---

(١) الدر المصون ٣١٣/٥.
(٢) أبو جعفر: هو يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء المدني، أحد القراء العشرة من التابعين، كان إمام أهل المدينة في القراءة، توفى سنة (١٣٢هـ). ينظر: الثقات/ لابن حبان ٥٤٣/٥، ٥٤٤، ومعرفة القراء الكبار ص٥٠، وغاية النهاية ٤٨٣/٢.
(٣) تفسير الطبري ٤٨٧/١٩.
(٤) إتحاف فضلاء البشر ٤٣١/١.
(٥) ينظر: ص٢٨ من البحث، وشرح المفصل/ لابن يعيش ١٥٢/١٠.

تعليق واستنتاج:

بناءً على ما سبق فإنَّ المماثلة الصوتية الكلية التراجعية بالإدغام في ادَّارك من تدارك ثابتة عن علماء اللغة والتفسير وهي صحيحة وَفْقًا لما قرَّره علماء اللغة، وجريًا على القاعدة في ذلك، وهي قراءة جمهور الراء بخلاف قراءة أبي بن كعب: "تَدَارَكَ"، فإنَّها الأصل كما ذكر ابن جني بقوله: "وأمَّا" بل تدارك" فإنَّه أصل قراءة من قرأ: "ادَّارك"؛ وذلك أنَّه في الأصل تدارك ثم آثر إدغام التاء في الدال؛ لأنها أختها في المخرج فقلبها إلى لفظها وأسكنها وأدغمها فيها. واحتاج إلى ألف الوصل؛ لسكون الدال بعدها[1].

فهذا ممَّا يدل على ورود الوجهين في القراءات القرآنية؛ إلا أنَّ الإدغام والمماثلة هو الأكثر وما عليه الجمهور، وهو الأخف من الوجهين، والذي يؤدِّي إلى الانسجام والتناسب في الكلام؛ ولذلك يقول الدكتور رمضان عبدالتواب: "ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية عندما جاء الإسلام، ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ جنبًا إلى جنب مع الصيغة القديمة التي لم يحدث فيها تغير للأصوات كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾[2]...، وقد ظلَّ هذا الطور سائرًا في طريقه في لهجات الخطاب حتى ساد وحده وقضى على الظاهرة القديمة، ففي اللهجة المصرية نقول مثلاً: فلان اصَّدَّعت دماغه، واسَّرَّع في كلامه، وأشَّهَّى الأكل، واصَّوَّر، واطَّوَّع في الجيش". ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب؛ إذ لا يقال فيها مثلاً: فلان تصدعت دماغه، وتسرع في كلامه، وتشَّهي

---

(١) المحتسب ١٤٣/٢.
(٢) القلم: من الآية (٤٩).

الأكل، وتصوَّر، وتطوَّع في الجيش[١]. وهذا التطور والانتشار؛ نظرًا للسهولة والخفة التي تلحظ من انسجام الكلام في حالة المماثلة والإدغام.

(ب) (تدارأتم ـ ادّارأتم)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٢]: "وأصل ادَّارأتم: تدارأتم تفاعلتم من الدَّرْء وهو الدفع، فاجتمعت التاء مع الدال وهي مقاربتها فأريد الإدغام فقلبت التاء دالاً وسكنت لأجل الإدغام، ولا يمكن الابتداء بساكن فاجتلبت همزة الوصل ليبتدأ بها، فبقي ادَّارأتم والأصل "ادْدَارأتم"، وهذا مطرد في كل فعل على تفاعل أو تفعَّل فاؤه دالاً نحو: "تداين وادَّاين، وتَدَيَّن وادَّيَّن، أو ظاء أو طاء أو ضاد أو صادٌ نحو: تطاير واطَّاير وتَطَيَّر واطَّيَّر، وتظاهر واظَّاهر وتَطَهَّر واطَّهَّر، والمصدر على التفاعل أو التفعُّل نحو: تَدَارُؤ وتطُّهر نظرًا إلى الأصل، وهذا أصل نافع في جميع الأبواب فتأمل"[٣].

الشرح والتحليل:

وضَّح السمين الحلبي كيفية حدوث المماثلة الصوتية الكلية التراجعية في ادَّارأتم، وعبَّر عن ذلك بقوله: فاجتمعت التاء مع الدال وهي مقاربتها، والطريقة المتبعة في تحقيق هذه المماثلة هي قلب التاء دالاً عند اجتماعهما، ثم جلب همزة الوصل؛ لأنَّه لا يبتدأ بساكن، والتاء سُكِّنت عند الإدغام، فلزم الإتيان بهمزة الوصل، وعلى ذلك فإنَّ الدَّال المجهورة قد أثَّرت على التاء المهموسة، فقلبت التاء دالاً لكي تماثل الدال في هذا اللفظ، وحتى يحدث الانسجام والتوافق في بناء هذا اللفظ، ويَبعُد عن التنافر، وهذا هو الهدف من ظاهرة المماثلة الصوتية.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص٣٩، ٤٠.
(٢) البقرة: من الآية (٧٢).
(٣) الدر المصون ١/٤٣٤.

هذا وقد توافق قول السمين الحلبي بالمماثلة عن طريق الإدغام في "ادَّارأتم" مع أقوال كثير من علماء اللغة والتفسير، وجاء متوافقًا مع القاعدة اللغوية في تماثل صوت الدال مع التاء في صيغتي "تفعَّل وتفَاعَل"، ومن ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني بقوله: "ووزن" "ادَّارَأْتُم" من الفعل "تَفَاعَلْتُم"، أصله: تدارأتم فأريد الإدغام تخفيفًا، فأبدل من التاء دالاً فسكن للإدغام، واجتلبت لها ألف الوصل، فحصل على اتفاعلتم..."[١]، وأضاف ابن الجوزي قوله: "...فأدغمت التاء في الدال؛ لأنَّهما من مخرج واحد"[٢].

ويقول النَّسفي: "... وأصله: تدارأتم، ثم أرادوا التخفيف، فقلبوا التاء دالاً لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة؛ ليمكن الإدغام، ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنًا وزيدت همزة الوصل؛ لأنه لا يبتدأ بساكن..."[٣].

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال ما سبق أنَّ المسوغ الصوتي لهذا الإدغام هو كون الدال والتاء من مخرج واحد، وبينهما تقارب في الصفات، والإدغام من مظاهر التخفيف والانسجام في الكلام، وعند حدوث هذه المماثلة في هذا اللفظ سكن أول المدغمين وهو بداية الكلمة، فجيء بهمزة الوصل، حتى لا يُبْدَأ بساكن، وهذه هي الفائدة من المماثلة الصوتية بين الصوامت (التخفيف والانسجام)، ونظرًا لكثرة وانتشار هذه المماثلة صار هذا مطرد في كل فعل على (تفاعل، وتفعَّل) كما قال الشهاب الخفاجي عن هذا الإبدال: "... وهذا مطرد في كل فعل على تفاعل أو تفعل فاؤه دال

(١) المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني ص٣١٤.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٧٨/١، ٧٩.
(٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ١٠٠/١.

نحو ادَّاين وادَّيَنَ، أو طاء أو ظاء أو صاد أو ضاد..."[١]، وهذا هو ما قاله العكبري[٢] وغيره[٣].

(ج) (المُدْتَخل ـ المُدَّخَل)

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾[٤]: "... والمُدَّخل: مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة في هذا المعنى، والأصل: مدتخل، فأدغمت الدال في تاء الافتعال كادَّان من الدين[٥].

الشرح والتحليل:

أشار السمين الحلبي في هذا الموضع إلى المماثلة الكلية بالإدغام في "المُدَّخَل"؛ حيث وضَّح كيفية حدوث هذه المماثلة، وذلك بتحديد الأصل، وهو المُدْتَخَل بالتاء ثم إبدال التاء: دالاً وإدغام الدال في الدال؛ حيث أثَّرت الدال . وهي صوت مجهور . على التاء وهي صوت مهموس، وهما من مخرج واحد، فقلبت التاء دالاً، وهذا التأثير يُعد تأثيرًا تقدميًّا؛ حيث أثَّرت الدال المتقدمة على التاء وهي متأخرة فقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال. وقد توافق قول السمين الحلبي مع أقوال

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٨٣/٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/ للعكبري ٧٨/١.

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ٦٤/١، وتفسير البغوي ١٣٠/١، والمحرر الوجيز ١٦٥/١، وإيجاز البيان عن معاني القرآن/ للنيسابوري ١٠٦/١، وتفسير القرطبي ٤٥٦/١، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ٨٨/١، وروح البيان ١٦٢/١، والبرهان في علوم القرآن/ للزركشي ٢٩٩/١، ومعترك الأقران/ للسيوطي ٣٢/٢، والموسوعة القرآنية/ للإبياري ١٨٩/٨.

(٤) التوبة: من الآية (٥٧).

(٥) الدر المصون ٦٨/٦، ٦٩.

كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكره الزجاج بقوله: "فأمَّا (مُدَخَّل) فأصله: مُدْتَخَل، ولكن التاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف"[١]؛ يعني: إبدال التاء دالاً وإدغامهما فلا يكون هناك تنافر واختلاف بين الصوتين في المخرج والصفات، وإنما يكونا من وجه واحد مخرجًا وصفة، وهذا هو التماثل تحقيقًا للانسجام والتوافق، وهذا هو ما ذكره الواحدي[٢]، والنحاس[٣]، والرازي[٤]، والقرطبي[٥]. وقال ابن الجوزي: "وأصل مدَّخل: مدتخل، ولكن التاء تبدل بعد الدال دالاً؛ لأنَّ التاء مهموسة والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف"[٦].

تعليق واستنتاج:

اتَّضح من خلال ما سبق أنَّ مجاورة التاء المهموسة للدال المجهورة، هو السبب والداعي إلى هذه المماثلة بالإدغام؛ فإنَّ هذه المماثلة والتخفيف تتطلَّب تقريب الصوتين بإبدال التاء دالاً مجهورة، وهذا التقارب في الصفات والاتحاد في المخرج كان مسوغًا قويًا لهذا الإدغام؛ حيث أدغم التاء في الدال، وحينها حدث التأثير التقدمي الكلي وصار اللفظ (مُدَّخلاً) بدل (مُتْدَخَلا)، وهذا أوفق وأيسر في الكلام لما فيه من تخفيفٍ في النطق وانسجام؛ ولذلك جاءت عليه قراءة الجمهور.

(د) (لا تَعْتَدُوا ـ لا تَعَدُّوا)

(١) معاني القرآن/ للزجاج ٢/٤٥٥.
(٢) التفسير الوسيط ٢/٥٠٤، ١٠/٤٩٥.
(٣) إعراب القرآن ٢/١٢٣.
(٤) مفاتيح الغيب ١٦/٧٤.
(٥) تفسير القرطبي ٨/١٦٥.
(٦) زاد المسير في علم التفسير ٢/٢٦٨، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٠/١١٨، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٠٤.

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ﴾[١]ـ:
"... قرأ الجمهور: تَعْدُوا بسكون العين وتخفيف الدال من عدا يعدوا، كغزا يغزوا، والأصل: تعدووا بواوين... وقرأ نافع بفتح العين وتشديد الدال (تَعَدُّوا)[٢]، إلا أنَّ الرواة اختلفوا عن قالون عن نافع ... فأمَّا قراءة نافع فأصلها: تَعْتدوا، ويدل على ذلك إجماعهم على: ﴿اعتدوا منكم في السبت﴾[٣]، كونه من الاعتداء وهو افتعال من العدوان، فأريد إدغام تاء الافتعال في الدال فنقلت حركتها إلى العين وقلبت دالاً وأدغمت. وهذه قراءة واضحة ..."[٤].

الشرح والتحليل:

من الواضح أن قراءة الإمام نافع قد جاءت على المماثلة الصوتية الكلية بالإدغام وذلك بتأثير الدَّال على التاء تأثيرًا تراجعيًا، فقلبت التَّاء دالاً وأدغمت في الدال، بعد نقل حركتها إلى العين ليكون أول المدغمين ساكنًا، وهذا هو ما أبرزه السمين الحلبي في هذا الموضع من تفسيره؛ حيث أورد اختلاف القراء في هذا الموضع بين المماثلة الصوتية بإبدال التاء: دالاً وإدغامها في الدال في: (تعتدوا)، كما في قراءة نافع، ومن روي عنه، وبين عدمها وتخفيف الدال كما في قراءة الجمهور، وعلى قراءة الجمهور فليس هناك مماثلة، ثم ذكر كيفية حدوث المماثلة في هذا اللفظ.

---

(١) النساء: من الآية (١٥٤).
(٢) ينظر: السبعة/ لابن مجاهد ص٢٤٠، والتيسير/ لأبي عمرو ص٩٨، والحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الفارسي ٣/١٩٠.
(٣) البقرة: من الآية (٦٥).
(٤) الدر المصون ٤/١٤١.

وبالرجوع إلى كتب اللغة والتفسير، ثبت أنَّ ما أورده السمين الحلبي قد تعرَّض له علماء اللغة بالإثبات والتوجيه؛ حيث ذكر الشَّهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي قوله: "... فإنَّه يدل على أنَّه من الاعتداء وهو افتعال من العدوان، فأريد إدغام تائه في الدال فنقلت حركتها إلى العين وقلبت دالاً وأدغمت وهذا واضح..."[١]، وهذا هو ما قاله الألوسي[٢] وغيره[٣]. والتاء من الحروف التي تدغم في الدال، وذلك فيما أورده ابن يعيش في قوله: "... الطاء، والتَّاء، والدال... إذا وقع شيء من هذه الحروف وآثرتَ الإدغام، أَدْغَمْتَ التَّاء فيما بعدها ..."[٤].

تعليق واستنتاج:

ظهر مما سبق جواز ورود هذا اللفظ بالمماثلة وعدمها كما في قراءة الجمهور ونافع له: (تَعْدُوا، وتَعَدُّوا) بتخفيف الدال وتشديدها مع سكون العين أو فتحها، وأصله: "تَعْتَدوا"، ولكلٍّ وجهته ومعناه، فالمعنى على قراءة الجمهور: "لا تتجاوزوا" من المجاوزة والتّعَدِّي، وعلى قراءة نافع: فهو من العدوان والاعتداء، فاختلاف اللفظ بالمماثلة وعدمها أدَّى إلى اختلاف دلالة اللفظ وتَنَوُّعها، وهذا يُعَدَّ من فوائد المماثلة الصوتية بين الصوامت؛ فهي تثري اللغة بمزيد من المعاني المتنوعة.

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٩٥/٣.
(٢) روح المعاني ١٨٣/٣.
(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٠٧/٧.
(٤) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ١٥٢/١٠، وينظر: ص٦٧٢ من البحث.

(٣) (إدغام الدال في التاء)

(سِدْس ـ سِدْت ـ سِتّ ـ سِتَّة)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١]ـ: "... قوله: في ستة" أصل ستَّة: سِدْس فُقِلبت السين تاءً، فلاقَتْها الدال وهي مقاربة لها ساكنة فوجب الإدغام، وهذا الإبدال لازم ويدل على أنَّ هذا هو الأصل رجوعه في التَّصغير إلى سُدَيسةٍ وفي الجمع أسداس"[٢].

الشرح والتحليل:

من الألفاظ التي خضعت في تكوينها إلى عملية المماثلة الكلية بالقلب والإدغام: لفظ "سِتَّة"؛ حيث ذكر السمين الحلبي: أنَّ أصلها هو سِدْس، فقلبت السين تاءً فصارت (سِدْت) فالتقى الدال مع التاء وهما متقاربان، إلا أنَّ بينهما تنافر في الصفات، فالتاء مهموسة والدال صوت مجهور، وكان من الطبيعي أن تغلب الدال على التاء فتدغم التاء في الدال؛ لأنَّ الدال صوت مجهور وهو أقوى من التاء، إلا أنه حدث العكس وغلبت التاء على الدال، فقلبت الدال: تاءً، ويُقَوِّي ذلك السين المهموسة في بداية اللفظ، فالتاء تناسب السين في الهمس، وبذلك حدثت المماثلة والتناسب في الهمس بين أصوات هذا اللفظ، وزال التَّنافر بينهما. وتغليب الأصوات المهموسة على الأصوات المجهورة منتشر في لغة سعد[٣]، كما غلَّبوا

---

(١) الأعراف: من الآية (٥٤).
(٢) الدر المصون ٣٣٩/٥.
(٣) سعد: هم سعد بن بكر بن هوازن بن منصور، رهط حليمة السعدية أم رسول الله ﷺ من الرضاعة، وهم بطن من هوازن من قيس بن غيلان من العدنانية، أوديتهم: قرن الجبال، وهو وادٍ يجيء من السراة ومن مياههم تقتد وهم أصحاب غنم. ينظر: نهاية الأرب ص٢٩٠، ومعجم البلدان ٥٩/١، ٧٢/٤، ومعجم قبائل العرب/ لعمر رضا كحالة ٥١٤/٢.

الحاء على العين في قولهم: كنت مَحُّم في معنى: معهم[١]؛ ولذلك يقول الخليل: "ستَّة وستٌ في الأصل: سِدْسَة وسدس، فأدغموا الدال في السين، فالتقى عندها مخرج التاء فغلبت عليها كما غلبت الحاء على العين، والهاء في سعد، يقولون: كنت مَحْهُم أي معهم. وبيانه أنَّ تصغير ستة: سديسة، وجميع تصريفها على ذلك"[٢]. وهذا هو ما قاله الجوهري[٣]، والعكبري[٤]، والرازي[٥]، والقرطبي[٦].

هذا وقد وضَّح ابن جني كيفية حدوث هذه المماثلة بالإدغام، وهل هذا التغيير في اللفظ عن أصله يُعَدُّ مماثلة، أم لا؟

فيقول ابن جني: "وقد أبدلت التاء من السين لامًا، وذلك في قولهم في العدد: "ستّ، وأصلها: سِدْس؛ لأنَّها من التسديس، كما أنَّ خمسة من التخميس، ولذلك قالوا في تحقيرها: سُدَيسة، ولكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التي قبلها، وهي مع ذلك حرف مهموس، كما أنَّ السين مهموسة، فصار التقدير: سِدْت، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاءً لتوافقهما في الهمس، ثم أدغمت التاء في التاء فصارت ستٌ كما ترى"[٧]؛ "فالتغيير الأول للتقريب من غير إدغام، والتغيُّر الثاني مقصود به الإدغام..."[٨]. وهذا هو ما ذكره ابن سيده[٩]، وابن يعيش[١]، وابن منظور[٢]، والأشموني[٣]، وغيرهم من علماء

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٢٨٢/١٢ (س ت ت).
(٢) العين ١٨٦/٧ (س ت ت).
(٣) الصحاح ٢٥١/١ (س ت ت).
(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ٣٤١/٢.
(٥) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) ٢٥٥/١٤.
(٦) تفسير القرطبي ٢١٨/٧.
(٧) سر صناعة الإعراب ١٥٥/١.
(٨) الخصائص ١٤٥/٢، وينظر: اللهجات العربية في التراث ٢٩٣/١، وفلسفة ابن جني اللغوية ص١٨٠.
(٩) المحكم ٤٠٤/٨ (س ت ت).

التفسير[٤]، فقد حدث في اللفظ مماثلة جزئية تقدمية بالإبدال، ثم مماثلة كلية بالإدغام، وهي مماثلة كلية تراجعية؛ حيث تأثر الأول وهو (الدال) بالثاني وهو (التاء) وأدغم فيه.

هذا وقد فصَّل بعض الباحثين المحدثين القول في مماثلة الدال والتاء في لفظ "ستٌّ" حيث قال: "والإدغام في "ست" مسبوق بمرحلتين من الإبدال:

أولاهما:قلبالسين الأخيرة تاءً؛ لتقرب من الدال التي قبلها، فصارت (سِدْتًا).

وثانيهما: إبدال الدال تاءً؛ لاتحادهما في المخرج، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا، كما قال سيبويه[٥]، وبعد ذلك أدغمت التاء التي هي ـ في الأصل ـ دال في التاء التي هي ـ في الأصل ـ سين؛ فقالوا: سِتٌّ، وأدى ذلك إلى وضع الكلمة في موضعين في بعض المعاجم كما فعل الجوهري[٦]، وابن منظور[٧]، والفيروزآبادي[٨]، والزبيدي..."[٩].

---

(١) شرح المفصل ٣٩٨/٥.
(٢) لسان العرب ١٩٣٤/١، ١٩٣٥ (س ت ت).
(٣) شرح الأشموني ١٤٦/٤.
(٤) ينظر: التفسير البسيط/للواحدي١٦٦/٩، واللباب في علوم الكتاب١٤٠/٩، وشرح المفصل٣٩٨/٥.
(٥) الكتاب ٤٣٣/٤.
(٦) الصحاح ٢٥١/١ (س ت ت)، و٩٢٧/٣ (س د س).
(٧) لسان العرب ١٩٣٤/٣، ١٩٣٥ (س ت ت)، ١٩٧٣/٣، ١٩٧٤ (س د س).
(٨) القاموس المحيط ص١٥٣ (س ت ت)، ص٥٥٠ (س د س).
(٩) تاج العروس ٥٤٦/٤ (س ت ت)، ١٤٢/١٦ (س د س)، وينظر: تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم/ لعبد الرزاق بن فرج الصاعدي (رسالة دكتوراه) ٧١٩/٢.

تعليق واستنتاج:

من الملاحظ أنَّ المماثلة في هذه الكلمة قد مرت بالتطورات التالية: تأثرت الدال المجهورة بالسين المهموسة، فقلبت إلى النظير المهموس وهو التاء، فصارت الكلمة "سِتْس"، ثم أثَّرت التاء في السين فقلبت تاء، فصارت الكلمة: "سِتّ"؛ أي أنَّ الكلمة مرت في تطورها بالتأثير المدبر الجزئي في حال الاتصال، ثم بالتأثير المقبل الكلي في حال الاتصال، فهذا التطور فيها يؤكد أنَّ المماثلة تنقل بالألفاظ من طور إلى طور مجاراة لتطور المجتمع واتجاهه نحو الاقتصاد في المجهود العضلي والسهولة في الأداء.

فهذا مما يبرز دور المماثلة الصوتية الجزئية التَّقدُّميَّة بالإبدال ثم الكلية بالإدغام في تكوين هذا اللفظ، ويؤكد أن دراسة المماثلة تعدُّ من الأهمية بمكان في الكشف عن أصول الكلمات وما حدث فيها من تغيير وتقريب بين الأصوات في اللغة على مر العصور.

(٤) (إدغام التَّاء في الطَّاء)

(أ) (يَتَطَوَّف ـ يَطَّوَّف)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿... أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[١]ـ: "... قرأ الجمهور: "يَطَّوَّف" بتشديد الطاء والواو، والأصل: يَتَطَوَّف، وماضيه كان أصله: "تَطَوَّف"، فلما أريد الإدغام تخفيفًا قلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء، فاحتيج إلى همزة وصل لسكون أوله لأجل الإدغام، فأتي بها فجاء مضارعه عليه يَطَّوَّف، فانحذفت همزت الوصل لتحصُّن الحرف المدغم بحرف المضارعة ومصدره على التطوُّف رجوعًا إلى أصل تَطَوَّف..."[٢].

---

(١) البقرة: من الآية (١٥٨).
(٢) الدر المصون ٢/١٩٠.

فقد بدا ممَّا أورده السمين الحلبي أنَّ المماثلة الكلية بالإدغام في لفظ يَطَّوَّف، قد تمَّت بإبدال التاء طاءً؛ وذلك لأنَّ التاء والطاء رغم أنَّهما من مخرج واحد وهو طرف اللسان وأصول الثنايا[١]، إلا أن بينهما تنافرًا في صفتي الجهر والهمس والتفخيم والاستعلاء والإطباق، هذا التنافر في الصفات مدعاة إلى الإبدال ليحدث التناسب والانسجام بينهما، وتكون المماثلة التامة بإدغام الطاء المبدلة من التاء في الطاء الأصلية بعد سكون الطاء الأولى، وقد توافق قول السمين الحلبي مع أقوال كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكره الزجاج بقوله : "... فمن قرأ أن يَطَّوَّف بهما أراد : أن يتطوَّف، فأدغمت التاء في الطاء لقرب المخرجين"[٢]. وهو ما قاله الثعلبي[٣] وغيره[٤] من علماء اللغة والتفسير.

وقال صاحب كتاب الجدول في إعراب القرآن الكريم: "يَطَّوَّف أصله: يَتَطوَّف، اقترب مخرج التاء من مخرج الطاء، فقلبت التاء طاء لتخفيف ثقل اللفظ وأدغمت الطاءان بعد تسكين الأولى للإدغام، فقيل يطوَّف وزنه يتفعَّل"[٥]. فالمماثلة جزئية تراجعية ابتداءً بالإبدال للتاء إلى طاء ثم كلية تراجعية بالإدغام للطاء في الطاء؛ فهذا ممَّا يدل على صحة ما أورده السمين الحلبي في هذه المماثلة الصوتية الكلية التراجعية.

---

(١) سر صناعة الإعراب ٤٧/١.
(٢) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٢٣٤/١.
(٣) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ٢٦/٢، وينظر: التبيان في إعراب القرآن ١٣٠/١.
(٤) ينظر: تفسير الرازي ١٣٧/٤، وتفسير ابن جزي ١٠٤/١، وتفسير النسفي ١٤٥/١، وتفسير البغوي ١٩١/١، والمحرر الوجيز/لابن عطية ٢٢٩/١، والبحر المحيط/لأبي حيان ٦٧/٢، واللباب في علوم الكتاب ٩٧/٣، وتفسير النيسابوري ٤٤٦/١، وتفسير أبو السعود ١٨١/١، ومشكل إعراب القرآن/ لمكي ١١٤/١، والتفسير الوسيط/ للدكتور محمد سيد طنطاوي ٣٢٠/١.
(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم/ لمحمود صافي ٣١٨/٢.

تعليق واستنتاج:

قد ظهر أنَّ الداعي إلى هذه المماثلة هو التنافر والتباعد والثقل الذي يحدث نتيجة اختلاف صوتي (التاء والطاء) في هذه اللفظة، في الصفات، بين الجهر والاستعلاء والإطباق في الطاء، والهمس والاستفال والانفتاح في التاء مما استوجب التقريب بينهما في الصفات، فأبدلت التاء طاءً ثم زاد التقارب والتماثل فأدغم صوت التاء في الطاء ليحدث التماثل التام الكلي التراجعي، ومن ثم الانسجام والخفَّة في الكلام، وهذا هو دور المماثلة الصوتية في الكلام التخفيف والتواءم؛ ولذلك جاءت عليها قراءة الجمهور (يَطَّوَّف) وهو أدعى للاقتصاد في المجهود العضلي، ومظهر من مظاهر التَّطور اللغوي قديمًا وحديثًا.

(ب) (يختطف ـ يَخَطَّف)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[1]: "وفيه قراءات كثيرة ... الثالثة: يَخَطَّفُ ـ بفتح الياء والخاء والطاء مع تشديد الطاء[2] ـ والأصل يختطف فأُبْدلت تاء الافتعال طاءً للإدغام..."[3].

الشرح والتحليل:

ذكر السمين: أصل اللفظ، ثم ما حدث فيه بتأثير المماثلة الكلية (الإدغام)؛ حيث أبدلت تاء الافتعال: طاءً لتماثل الطاء الأصلية في اللفظ، في الجهر والتفخيم والإطباق والاستعلاء، ويزول التنافر والاختلاف بين أصوات هذا اللفظ، ثم تدغم الطاء في الطاء، وقد توافق قوله هذا مع أقوال كثير من علماء

---

(1) البقرة: من الآية (٢٠).
(2) ينظر هذه القراءات في: الحجة للقراء/ لأبي علي الفارسي ٣٩٠/١، وتفسير القرطبي ٢٢٢/١، والبحر المحيط ١٤٦/١، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٢/١.
(3) الدر المصون ١٧٨/١.

اللغة والتفسير؛ حيث يقول الأخفش: "وقال بعضهم: (يَخِطِّفُ) وهو قول يونس من "يختطف" فأدغم التاء في الطاء؛ لأن مخرجها قريب من مخرج الطاء"[١]، وقال الزجاج: "فمن قال يَخَطَّف فالأصل: يختطف، فأدغمت التاء في الطاء وألقيت على الخاء فتحة التاء"[٢].

وقد وضَّح ابن جني كيفية حدوث هذه المماثلة في هذا اللفظ؛ حيث يقول: "يَخَطَّف ... أصله يختطف، فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج و احد؛ ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتًا من المهموس، ومتى كان الإدغام يُقَوِّي الحرف المدغم حسن ذلك، وعلَّته أنَّ الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوي لقوته، فكان في ذلك تدارك وتلاف لما جُني على الحرف المدغم فأسكن التاء؛ لإدغامها، والخاء قبلها ساكنة، فنقلت الحركة إليها، وقلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء فصارت يَخَطَّف"[٣]. وهذا هو ما قاله كثير من علماء اللغة والتفسير[٤].

تعليق واستنتاج:

من الواضح أنَّ هذه المماثلة جاءت بتأثير تراجعي من الطاء على التاء المتقدمة فأبدلت طاءً ثم أدغمت فيها، والعلة في ذلك كما وضحها ابن جني ـ فيما سبق ـ هي أنَّ صوت التاء أضعف من صوت الطاء، فلما أدغم في الطاء قوي بقوته، ونقلت حركة التاء المدغمة في الطاء إلى الساكن قبلها فتحرك، وبذلك صار

---

(١) معاني القرآن ١/٥٥.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥.
(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/٥٩.
(٤) ينظر: إعراب القرآن/ للنحاس ١/٣٥، والمحرر الوجيز ١/١٠٣، والتبيان في إعراب القرآن ١/٣٧، واللباب في علوم الكتاب ١/٢٩٧، ولسان العرب ٢/١٢٠٠ (خ ط ف)، وروح المعاني ١/١٧٧، والموسوعة القرآنية/ لجعفر شرف الدين ٥/٥٤.

هناك مماثلة قليلة تراجعية أدَّت إلى الخفة والانسجام في اللفظ والاقتصاد في المجهود العضلي ومجاراةً للتطور اللغوي وقانون السهولة[١]. ومع ذلك فقد أدَّى هذا الإدغام معنى زائدًا عن المعنى الأصلي وهو الكثرة والقوة في التَّخطُّف. وهذا هو دور المماثلة التخفيف والانسجام وإثراء اللغة والكلام.

(٥) (إدغام العين في الحاء)

(معها ـ مَحًّا)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾[٢]ـ: "... والعامة على عدم الإدغام في " معها " وطلحة [٣] على الإدغام "محًّا بحاء مشددة[٤] وذلك أنَّه أدغم العين في الهاء، ولا يمكن ذلك، فقلب الهاء حاءً، ثم أدغم فيها العين فقلبها حاءً"[٥].

الشرح والتحليل:

يشير السمين الحلبي في هذا الموضوع من تفسيره إلى حدوث المماثلة الجزئية ثم الكلية بالإدغام في لفظ (محًّا) مشددًا؛ أما المماثلة الجزئية: فتتمثَّل في إبدال الهاء حاءً، والعين حاءً، أما الحاء الأولى لضعفها في مقابل العين، أما الثانية أبدلت لمماثلة الحاء التي أصلها الهاء بتأثير تراجعي من الحاء الثانية على الأولى. وأما المماثلة الكلية: فتتمثَّل في إدغام الحاء التي أصلها الهاء، والحاء التي أصلها العين وهي مماثلة كلية تراجعية أيضًا؛ حيث أثرَّت الحاء التي أصلها

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية/ د. إبراهيم أنيس ص١٨٨، والتطور اللغوي مظاهره وعلله ص٧٦.
(٢) ق: من الآية (٢١).
(٣) طلحة: هو طلحة بن مصرِّف بن كعب بن عمرو الهمداني اليامي الكوفي، أبو محمد: أقرأ أهل الكوفة في عصره، وكان يسمى (سيد القراء)، وهو من رجال الحديث الثقات، توفى سنة (١١٢هـ). ينظر: غاية النهاية ٣٤٣/١، والأعلام ٢٣٠/٣.
(٤) تنظر هذه القراءة في البحر المحيط ٥٣٥/٩.
(٥) الدر المصون ٢٦/١٠.

الهاء على العين بعد إبدالها حاءً وأدغمتا؛ حيث التناسب والتأثير التراجعي لصوت الحاء على العين، جعل العين تقلب حاءً وتدغم في الحاء؛ وذلك أنَّ أصلها (أي الحاء): هاءً في "معها"، والهاء لضعفها لا تدغم في العين، فأبدلت الهاء: حاءً، ثم جذبت الحاء: العين لها وأثرت عليها فقلبت حاءً وأدغمتا، وهذا منتشر في بعض القبائل العربية كبني سعد، والتي جاءت عليها قراءة طلحة؛ حيث يقول الخليل: "... كما غلبت الحاء على العين والهاء في سعد يقولون: كنت مَحهُم أي معهم..." [١]، وهو ما ذكره الأزهري[٢]، وابن منظور[٣]. وقال ابن عطية: "... وقرأ طلحة بن مصرف: "محَّها" بالحاء المثقلة"[٤].

تعليق واستنتاج:

من الملاحظ أن هذه القراءة تمثِّل إدغام العين مع الهاء، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "البيان أحسنُ، فإن أدغمت لقرب المخرجين حوَّلت الهاء حاءً والعين حاءً، ثم أدغمت الحاء في الحاء؛ لأنَّ الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها، ثم أدغمته فيه، كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه، ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه ولم يدغموها في العين إذْ كانتا من حروف الحلق؛ لأنَّها خالفتها في الهمس والرخاوة فوقع الإدغام لقرب المخرجين، ولم تقوَ عليها العين؛ إذْ خالفَتْها فيما ذكرتُ لك. ولم تكن حروف الحلق أصلاً للإدغام، ومع هذا فإن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين"[٥]... ومما قالت العرب تصديقًا لهذا في الإدغام قول بني تميم: محَّم

(١) العين ١٨٦/٧ (س ت ت).
(٢) تهذيب اللغة ٢٨٢/١٢ (س ت ت).
(٣) لسان العرب ١٩٣٤/٣ (س ت ت).
(٤) المحرر الوجيز ١٦١/٥.
(٥) الكتاب ٤٤٩/٤، ٤٥٠.

يريدون: معهم، ومحَّاؤلاء يريدون: مع هؤلاء[١]، ويقول ابن يعيش: "وحكى عن بني تميم: "محَّم في معهم"، و"محَّاؤلاء" في "مع هؤلاء"، وذلك لقرب العين من الهاء، وهي كثيرة في كلام تميم وذلك؛ لأنَّ اجتماع الحاءين أخف عندهم من اجتماع العينين، والهاءين ..."[٢].

وذكر بعضهم قوله: "محها بالحاء المثقلة، أدغمت العين في الهاء فانقلبت حاء وهي قراءة طلحة"[٣].وعلى ذلك فقد قُلِبَت الهاء حاءً، لتُنَاسِب العين في النصاعة والقوة حتى تتم المماثلة، ثم صارت المماثلة تامَّة وكلية بإدغام العين في الحاء . وهذا هو ما ذهب إليه السمين الحلبي في هذا الموضع.

ثانياً ـ الإدغام في كلمتين بلا فصل

إدغام اللام في الراء

(بل ران)

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾[٤]: "... وأُدغِم لام "بل" في الراء وأظهرت"[٥].

الشرح والتحليل:

يشير السمين الحلبي إلى جواز الوجهين الإظهار، أو المماثلة الكلية بالإدغام بين اللام والراء في ﴿بَلْ رَانَ﴾، وقد ذكر ابن مجاهد: أنَّ هذا الإدغام هو

---

(١) اللهجات العربية في قراءات الكشاف ص٣١٥.
(٢) شرح المفصَّل/ لابن يعيش ١٣٧/١٠.
(٣) الموسوعة القرآنية/ لجعفر شرف الدين ٢٧١/٦.
(٤) المطففين: من الآية (١٤).
(٥) الدر المصون ٧٢٣/١٠.

(مذهب أبي عمرو)[١]، وكان يدغم لام "بل" في الراء كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ﴾[٢]، و "بَلْ رَانَ"، وأمَّا لام "قل" فلا يدغمها إلا في الراء مثل قوله: "وقل رب"، ولام "قل" مفارقة للام "هل وبل"؛ لأنَّ لام قل يتغير سكونها فتقول: قال ويقول يا هذا ولام هل وبل لا تتغيران ولا تتحرك لاماهما؛ لأنَّ سكون لام هل وبل لازم، وسكون لام قل غير لازم[٣].

وقال أبو حيان: "... وقال سيبويه: إنَّ النون تدغم في الراء، وذلك نحو من راشد[٤]. وقال: "بل ران قرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار... وأجمعوا، يعني القراء على إدغام اللام في الراء إلا ما كان من سكت حفص على بل ... وقال الزمخشري: وقرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار والإدغام أجود..."[٥].

وأضاف المرصفي قوله: "في لام الحرف وحكمها: وسميت بذلك لوجودها فيه، وهي في القرآن الكريم في حرفين فقط، "هل وبل" وحكم هذين الحرفين بالنسبة لما يأتي بعدهما من الحروف الهجائية على ثلاثة أقسام: الأول: وجوب إدغامهما عند كل القراء وذلك إذا أتي بعدهما لام أو راء، فاللام تقع بعد كل من هل وبل نحو: ﴿هَل لَّكُم﴾[٦]، ﴿بَل لَا يَخَافُونَ﴾[٧]، والراء لا تقع إلا بعد بل فقط نحو: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ

---

(١) أبو عمرو: بن العلاء صاحب القراءات اسمه: زبَّان بن العلاء بن عمار بن حصين بن حليم بن مازن الخزاعي، من أهل البصرة، له نحو خمسين حديثًا، ومات في طريق الشام سنة (١٥٤هـ). ينظر: الثقات/ لابن حبان ٣٤٥/٦، ومعجم الأدباء ١٣١٧/٣، ووفيات الأعيان ٤٦٦/٣.

(٢) النساء: من الآية (١٥٨).

(٣) السبعة في القراءات ١٢٠/١.

(٤) ينظر: الكتاب ٤٥٧/٤، والبحر المحيط ٣٥٢/١٠.

(٥) ينظر: الكشاف ٢٣٢/٤، والبحر المحيط ٤٢٨/١٠، ٤٢٩.

(٦) الروم: من الآية (٢٨).

(٧) المدثر: من الآية (٥٣).

اللّـهُ إِلَيْـهِ﴾، فالإدغام في اللام للتماثل، وفي الراء للتقارب على مذهب الجمهور وللتجانس على مذهب الفرّاء ومن نحا نحوه..."[١].

تعليق واستنتاج:

اتضح من خلال ما سبق أن الإدغام في (بل ران) يُعد من المماثلة الكلية بالإدغام والتأثير فيها تأثير تراجعي؛ حيث تأثرت اللام بالراء فأدغمت فيها على مذهب الجمهور للتقارب؛ أو للتجانس على مذهب الفرّاء[٢]؛ وذلك لأنَّ اللام والراء من مخرج واحد وهو: طرف اللسان وما فويق الثنايا[٣]، فهي أصوات متوسطة شبيهة بالصوائت في الوضوح.

والراء أوضح في السمع نظرًا لأنَّه صوت يتميز بالتكرار وسماه ابن جني بالصوت المكرر[٤] بخلاف اللام؛ ولذلك أدغم اللام فيه لغلبة الراء عليه وهو إدغام في كلمتين منفصلتين، جاء للتخفيف في النطق عندما يتماثل الصوتان المتقاربان في المخرج والصفات، ويدغمان، بخلاف التنافر الذي يحدث من عدم الإدغام والمماثلة؛ ولذلك وقف حفص على (بل) وقفة خفيفة حتى لا يحدث الثقل والتنافر عند الاتصال بين اللام والراء دون إدغام وتماثل؛ ولذلك ذكر السمين الحلبي . وسائر المفسرين واللغويين[٥]ـ فيه الوجهان: الإدغام مع المماثلة، أو الإظهار مع

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري/ للمرصفي ٢١٣/١.
(٢) ينظر: معاني القرآن/ للفرّاء ٣٥٤/٢.
(٣) سر صناعة الإعراب ٤٧/١، والراء: صوت يخرج من طرف اللسان واتصاله باللثة أو مقدم الحنك، واللام يخرج من طرف اللسان مع مقدم الحنك أو اللثة. ينظر: أصوات اللغة العربية/ د. عيد الطيب ص٩٣، ٩٤ (بتصرف)، وأصول اللغة العربية/ د. جبل ص٢٠٧، ٢٠٩.
(٤) سر صناعة الإعراب ٦٣/١.
(٥) البحر المحيط ٣٥٢/١٠، وهداية القاري ٢١٣/١، واللباب في علوم الكتاب ٢١٥/٢٠.

الفصل بالوقف على (بل) كما فعل حفص، وهذا هو دور المماثلة: (التقريب بين الأصوات والتخفيف في النطق).

وعلى ذلك فإدغام اللام في الراء أجود كما أشار الزمخشري، وقد وضَح ذلك سيبويه بقوله . عن إدغام لام هل وبل .: "... فإذا كانت غير لام المعرفة نحو لام هَلْ وبَلْ، فإنَّ الإدغام في بعضها أحسن، وذلك قولك: هرَّأَيْتَ؛ لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فصارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذْ كانت اللام ليس حرفٌ أشبه بها منها ولا أقربُ، كما أن الطاء ليس حرف أقربُ إليها ولا أشبُه بها من الدال. وإن لم تدغم فقلت: هَلْ رَأَيْتَ فهي لغة لأهل الحجاز، وهي عربية جائزة"(١).

كما يقول الزَّجَّاج: "وقرِئَت: (بل ران) بإظهار اللام، والإدغام أجود لقرب اللام من الراء، ولغلبة الراء على اللام"(٢).

فهذا مما يؤكد الهدف الرئيس والأساس للمماثلة، وهو الانسجام والتخفيف في الكلام وتفادي الثقل والتنافر؛ ولذلك حظيت بالقبول والانتشار قديمًا وحديثًا ولاقت استحسانًا من القراء وعلماء اللغة والتفسير.

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٥/٢٩٩.

المبحث الثاني
الإدغام بين المتقاربين

المتقاربان: هما ـ كما أشرت سابقًا[١] ـ: الصوتان اللذان بينهما تقارب في المخرج أو الصفة أو فيهما، كالدال والسين أو الشين والذال والزاي واللام مع الراء[٢]. فإذا التقى حرفان متقاربان في المخرج والصفة، أو في المخرج دون الصفة، أو في الصفة دون المخرج دون فاصل من وقف، أو سكت، وكان الحرف الأول ساكنًا والثاني متحركًا، أدغم الأول في الثاني، وصار الحرفان حرفًا واحدًا مشددًا من جنس الثاني"[٣].

والإدغام بين المتقاربين قد يكون في كلمة واحدة أو في كلمتين بلا فصل (من وقف أو سكت)، وممَّا ورد من النوع الأول في الدر المصون للسمين الحلبي ما يأتي:

أولاً ـ في كلمة واحدة بلا فصل

(١) (إدغام التاء في الذال)

(المُعْتَذِرُون ـ المُعَذِّرُون)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾[٤]: "قرئ بوجوه كثيرة، فمنها قراءة فتح العين وتشديد الذال، وهذه القراءة تحتمل وجهين: ... والثاني: أن يكون وزنه افتعل والأصل: اعتذر، فأدغمت التاء

---

(١) ينظر: ص٦٧٢من البحث.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٢٤، وأصوات اللغة العربية/د. هلال ص٢٣٨.
(٣) ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/ د. عبد الفتاح البركاوي ص٤٧.
(٤) التوبة: من الآية (٩٠).

في الذال، بأن قلبت تاء الافتعال ذالاً، ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين، ويدل على هذا قراءة سعيد بن جبير[١]: (المعتذرون) على الأصل"[٢].

الشرح والتحليل:

أثبت السمين الحلبي في النَّص السابق وقوع المماثلة الكلية التراجعية بالإدغام في لفظ "المُعَذِّرون"، وأصله: المعتذرون من اعتذر ووزنه "افتعل"، وعند حدوث المماثلة قلبت التاء ذالاً حتى تماثل الذال في اعتذر، ونقلت حركتها إلى العين، ثم أدغمت الذال في الذال حتى حدث الانسجام والتوافق في أصوات هذا اللفظ.

هذا وقد توافق قول السمين في هذه المماثلة مع أقوال كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكره الطبري بقوله: "... إنَّ معناه: وجاء المعتذرون من الأعراب، ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فَصُيِّرتا ذالاً مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى، كما قيل: يذكَّرون في يتذكرون"[٣]، وقال الزجاج: "ومن قرأ: المُعَذِّرون بتشديد الذال فتأويله المعتذرون، إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب مخرجهما ... ويجوز المعذِّرون ـ بكسر العين ـ؛ لأنَّ الأصل المعتذرون، فأسكنت

(١) سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبدالله، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر، توفى سنة (٤٥هـ). ينظر: الثقات/ لابن حبان ٢٧٦/٤، ووفيات الأعيان٣٧١/٢، والأعلام ٩٣/٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز٢٥١/٨، والبحر المحيط٨٣/٥، الدر المصون ٩٦/٦، وقراءة سعيد بن جبير: دراسة لغوية/ د. عبد الهادي السلمون ص٣٩.

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ٤١٧/١٤.

التاء وأدغمت في الذال ونقلت حركتها إلى العين فصار الفتح أولى الأشياء"[١]. وهذا هو ما ذكره الفرّاء[٢]، والأزهري[٣] وغيرهما[٤].

وقال صاحب التحرير والتنوير: "فتقدير المُعَذِّرون: أنَّ أصله المعتذرون، من اعتذر أدغمت التاء في الذال لتقارب المخرجين لقصد التخفيف، كما أدغمت التاء في الصاد في قوله: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٥]؛ أي: يختصون"[٦].

تعليق واستنتاج:

وعلى ذلك فإنَّ قراءة سعيد بن جبير: "المعتذرون" قد جاءت على الأصل؛ لأنَّ الإظهار أصل، والإدغام داخل لعلة، وقد سمي سيبويه الإظهار اللغة القديمة؛ حيث قال: "ودعاهم سكون الآخر في المثلين أن بَيَّن أهل الحجاز في الجزم، فقالوا: أردْ، ولا تَرْدُد، وهي اللغة العربية القديمة الجيدة"[٧]، ومعناها: أتوا بعذر أو لم يأتوا، يأتوا، ... وعلى ذلك فقراءة ابن جبير تلتقي مع قراءة الجمهور في المعنى الثاني، فتكون قد بينت المراد منها"[٨].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٤٦٤/٢.
(٢) معاني القرآن ٤٧٧/١.
(٣) تهذيب اللغة ١٨٤/٢ (ع ذ ر).
(٤) ينظر: معاني القرآن/ للأخفش ٣٦٣/١، وتفسير البغوي ٣٧٨/٢، والمحرر الوجيز ٧٠/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٢، ومفاتيح الغيب/ للرازي١٢٠/١٦، وتفسير القرطبي٢٢٤/٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦٨/١٠، وتفسير النيسابوري ٥١٧/٣، وتفسير الثعالبي ٢٠٤/٣، وزهرة التفاسير ٣٤٠٧/٧، وتفسير الخازن ٣٩٥/٢، وأثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجًا/ د. عبد الرازق القادوسي ص٢١٧ (رسالة دكتوراه).
(٥) يسن: من الآية (٤٩).
(٦) التحرير والتنوير/ للطاهر بن عاشور ٢٩٣/١٠.
(٧) الكتاب ٤٧٣/٤.
(٨) قراءة سعيد بن جبير: دراسة لغوية ص٤٠، ٤١.

هذا ومع وَجَاهَةَ ما ذكره سيبويه وأيَّده الدكتور عبدالهادي السلمون، إلا أني أخالفهما الرأي، وأرى أنَّ المماثلة والتقريب التي في قراءة الجمهور هو الأجود من الإظهار الذي في قراءة سعيد بن جبير، لما فيه من الانسجام والبعد عن التنافر بين الأصوات في حال الإظهار؛ ولذلك شاعت وانتشرت هذه القراءة واستعملت المماثلة قديمًا وحديثًا، حيث أحدثت هذه المماثلة انسجامًا وتوافقًا بين أصوات هذا اللفظ، وأزالت التنافر بينهما؛ لأنَّ التاء صوت مهموس، والذال صوت مجهور، وهما متقاربان في المخرج فأبدل منه صوت مجهور مماثل للذال، وأدغم الذال في الذال، فصارت مماثلة كلية تراجعية بالإدغام بين المتقاربين في المخرج والصفات.

(٢) (إدغام التاء في الزَّاي)

(أ) (يَتَزَكَّى ـ يَـزَّكَّي)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾[١]: "... قوله: ... ﴿وَمَن تَزَكَّى﴾، قرأ العامَّة (الجمهور): تزكَّى "تَفَعَّل" فإنَّما يتزكى "يتفعل". وعن أبي عمرو: ومن يَزَّكَّى، والأصل فيهما: يتزكى فأدغمت التاء في الزاي، كما أدغمت في الذال نحو: يذَّكرون في يتذكرون، وابن مسعود وطلحة[٢]: ومن ازَّكى[٣]، والأصل: تزكى فأدغم باجتلاب همزة الوصل، فإنَّما يزَّكى أصله يتزكى فأدغم، كأبي عمرو في غير المشهور عنه"[٤].

الشرح والتحليل:

---

(١) فاطر: من الآية (١٨).

(٢) ابن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن صحابي من أكابرهم، فضلاً وعقلاً وقربًا من رسول الله ﷺ ، وهو من أهل مكة ومن السابقين في الإسلام، توفى سنة (٣٢هـ). ينظر: الاستيعاب ٩٨٧/٣، والإصابة ٢٠/٥، والأعلام ٧٨٥/٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢٥/٩.

(٤) الدر المصون ٢٢٢/٩، ٢٢٣.

أشار السمين الحلبي في هذا الموضع من كتابه إلى حدوث المماثلة الكلية بالإدغام في لفظ "يَزَّكَّى" على قراءة أبي عمرو، وابن مسعود وطلحة؛ حيث أدغمت التاء في الزَّاي، كما أدغمت في الذال؛ وذلك لأنَّ الصوتان بينهما تقارب في المخارج، والصفات، فالتاء ـ كما ذكرتُ من قبل[١]. من الحروف النَّطعية، التي تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا (العليا)[٢]، والزاي، مخرجها هو: أسلة اللسان (مستدق طرفه) وفويق الثَّنايا السفلى مع إبقاء فرجة بينه وبين الثنايا،وتسمى أسلية مع الصاد والسين"[٣].

فالزاي والتاء كلاهما يخرج من طرف اللسان والثنايا مع فارق بسيط في المخرج، وليس بينهما من فرقٍ في الصفات إلا في: الجهر والشدة وعكسهما، فالزاي مجهور رخو، والتاء مهموس شديد[٤].

تعليق واستنتاج:

من الواضح أن هذا التقارب بينهما هو ما سوغ هذه المماثلة الكلية بالإدغام في هذا اللفظ بين التَّاء والزاي، كما ذكر السمين الحلبي، وقد توافق قوله مع أقوال كثير من علماء اللغة والتفسير في ذلك، يقول أبو حيان: "... ومن يَزَّكَّى فإنَّما يزَّكَّي بالياء من تحت وشد الزاي فيهما، وهما مضارعان، وأصلهما: ومن يتزكى، أدغمت التاء في الزاي كما أدغمت في الذال..."[٥]، وهذا هو ما قاله

(١) ينظر: ص٦٧٥ من البحث.
(٢) ينظر: العين ٥٨/١، وسر صناعة الإعراب ٤٧/١، وترتيل القرآن الكريم/ د. عبدالفتاح البركاوي ص٢٥.
(٣) ينظر: العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣/٤، وأصوات اللغة العربية/ د. عبد الغفار هلال ص١٢٨.
(٤) ينظر: أصوات اللغة العربية/د. جبل ص١٩١، ٢٢٠، وأصوات اللغة العربية/ د.عيدالطيب ص٨٤،٨٥.
(٥) البحر المحيط ٢٥/٩، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٢٢/١٦.

الدمشقي وغيره[١]. مما يدل على ثبوت هذه المماثلة الكلية بالإدغام في "يزكَّى" كما ذكر السمين الحلبي.

(ب) (المتزمل ـ المُزَّمِّل)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[٢]ـ: "... قوله: المُزَّمِّل: أصله المُتَزَمِّل، فأدغمت التاء في الزاي يقال: تزمَّل يتزمَّل تزملاً، فإذا أريد الإدغام اجتلبت همزة الوصل، وبهذا الأصل قرأ[٣] أبي بن كعب"[٤].

الشرح والتحليل:

وضَّح السمين الحلبي كيفية حدوث المماثلة الكلية التراجعية بالإدغام في لفظ "المُزَّمِّل" حيث بَيَّن أصل اللفظ قبل حدوث المماثلة، وهو (المُتَزَمِّل)، ثم حدث تقارب بين التاء والزاي في المخارج والصفات على النحو الذي أسلفنا[٥]، فأبدل صوت التاء بصوت مماثل للزاي، ثم أدغم المثلان، وتحقَّق الانسجام والتواؤم بين أصوات هذا اللفظ، وزال التنافر الذي كان في بعض الصفات بين الصوتين، حيث إنَّ التاء صوت مهموس شديد، والزاي مجهور رخو، وعند المماثلة اتَّحد الصوتان في المخارج والصفات وأدغما في بعضهما فكانا صوتًا واحدًا، وذلك أخف على اللسان في النطق.

---

(١) ينظر: روح المعاني/ للآلوسي ٣٥٨/١١، وتفسير حدائق الروح والريحان/ للشافعي ٣٢٦/٢٣.
(٢) المزمل: من الآية (١).
(٣) تنظر هذه القراءة في: مختصر في شواذ القراءات ص١٦٤، والكشاف٦٣٤/٤، والبحر المحيط٣١١/١٠.
(٤) الدُّر المصون ٥٠٩/١٠.
(٥) ينظر: ص٧٠٣ من البحث.

وما ذكره السمين الحلبي في ذلك متطابق مع ما ذكره كثير من علماء اللغة والتفسير، ومن ذلك ما ذكر الأخفش بقوله: "المُزَّمِّل، والأصل: المُتَزَمِّل، ولكن أدغمت التاء في الزاي"[١]، والزجاج بقوله: "والمُزَّمِّل أصله: المُتَزَمِّل، ولكن التاء تدغم في الزاي لقربها منها..."[٢]، وقال ابن الجوزي: "... المُزَّمِّل ... قال اللغويون: المُزَّمِّل: الملتف في ثيابه، وأصله: المتزمل فأدغمت التاء في الزاي فثقلت[٣]. وهذا هو ما قاله النَّسفي[٤]، وأبو حيان[٥] وغيرهما[٦].

تعليق واستنتاج:

من الواضح أنَّ قراءة أبي بن كعب قد جاءت على الأصل قبل الإدغام (المُتَزَمِّل) أمَّا قراءة الجمهور فقد جاءت على التقريب والمماثلة في اللفظ بين صوتي التاء والزاي، ومن ثمَّ إبدال التاء بصوت مماثل للزاي ثم إدغامهما، وهذا مما يؤدي إلى المماثلة والانسجام في اللفظ والسهولة في الأداء لما فيه من الاقتصاد في المجهود العضلي[٧]، وجعل اللفظ في اتجاه واحد وخروج الصوتين من مخرج واحد على وجه واحد وهذا هو دور المماثلة، وهو ما جعل هذه القراءة تنتشر وتشيع لدى الجمهور رغم أنهَّا متطورة عن الأصل وهو الفك والإظهار.

(٣) (إدغام التاء في الصاد)

(يَتَصَالحا ، ويَصْتَلِحا ـ يصَّالحا ، ويصَّلحا)

---

(١) معاني القرآن/ للأخفش ٥٥٢/٢.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٩/٥.
(٣) زاد المسير ٣٥٢/٤.
(٤) تفسير النسفي ٥٥٥/٣.
(٥) البحر المحيط ٣١١/١٠.
(٦) ينظر :تفسير الرازي ٦٨١/٣٠، وفتح القدير ٣٧٨/٥،والتحرير والتنوير ٢٥٦/٢٩، وروح المعاني ١١٣/١٥.
(٧) ينظر: الأصوات اللغوية ص١٨٨.

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى:﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾[١]:"...قرأ الكوفيون "يُصْلِحا" من أصلح، وباقي السبعة "يَصَّالحا" بتشديد الصَّاد بعدها ألف، وقرأ عثمان البتِّي[٢] والجحدري[٣]: "يَصَّلحا" بتشديد الصاد من غير ألف[٤]... فأمَّا قراءة الكوفيين فواضحة، وقراءة باقي السبعة أصلها "يتصالحا" فأريد الإدغام تخفيفًا فأبدلت التاء صادًا وأدغمت، وأمَّا قراءة عثمان فأصلها: "يَتَصَالحا" فخفف بإبدال الطاء المبدلة من تاء الافتعال صادًا وإدغامها فيما بعدها ... وقال أبو البقاء: وأصله: يصتلحا فأبدلت التاء صادًا وأدغمت فيها الأولى[٥]، وهذا ليس بجيد؛ لأنَّ تاء الافتعال يجب قلبها طاءً بعد الأحرف الأربعة كما تقدم تحقيقه في البقرة، فلا حاجة إلى تقديرها تاء؛ لأنَّه لو لفظ بالفعل مظهرًا لم يلفظ فيه بالتاء إلا بيانًا لأصله"[٦].

الشرح والتحليل:

وضَّح السمين الحلبي المماثلة الكلية بالإدغام في لفظ "يَصَّلِحا ويَصَّالحا"، وذلك من خلال توجيهه للقراءات القرآنية الواردة بهذه الظاهرة الصوتية. وقد جاءت

---

(١) النساء: من الآية (١٢٨).

(٢) عثمان البتِّي: هو ابن سليمان بن جرموز، كان ثقة، له أحاديث، وكان صاحب رأي وفقه، وكان من أهل الكوفة، فانتقل إلى البصرة فنزلها، وكان مولى لبني زهرة ويكني أبا عمرو، وكان يبيع البتوت فقيل البتي، توفى في حدود المائة والأربعين (١٤٠هـ). ينظر: الطبقات الكبرى/ لابن سعد٧/٢٥٧، وتاريخ الإسلام/ للذهبي٣/٦٩٦، والوافي بالوفيات/ للصفدي ١٩/٣١٠.

(٣) الجحدري: هو عاصم بن العجاج الجحدري من عُبَّاد أهل البصرة وقرائهم، قرأ على سليمان بن بن قتة، ونصر بن عاصم، والحسن البصري، وهو ثقة، توفى سنة (١٢٨هـ). ينظر: تاريخ الإسلام/للذهبي٣/٤٣٧، والوافي بالوفيات ١٦/٣٢٤، وغاية النهاية ١/٣٤٩.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/٨٦، وإتحاف فضلاء البشر ١/٢٤٦.

(٥) ما في التبيان/ للعكبري ١/٣٩٥ "... وأصله يصطلحا بإبدال التاء صادًا وأدغمت فيها الأولى".

(٦) الدر المصون ٤/١٠٨.

المماثلة في هذا اللفظ على صورتين، الأولى: جزئية تراجعية، في إبدال تاء الافتعال طاءً سواء أكان في اللفظ مع الزيادة (يَصَّالحا) أم بدونها وهي جزئية تقدمية في (يَصَّلحا) وأصلهما (يتصالحا، ويصتلحا)، ثم أبدلت التاء طاءً لتجانسهما، والثانية: كلية تقدمية، في إبدال الطاء: صادًا وإدغامها في الصاد الأولى، وهذا هو ما ذكره السمين الحلبي، وغيره من علماء اللغة والتفسير كالطبري في قوله: "واختلفت القَرَأةَ في قراءة قوله: "أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُما صُلْحًا"، فقرأ ذلك عامة قَرَأَة أهل المدينة، وبعض أهل البصرة بفتح الياء وتشديد الصاد، بمعنى: أن يتصالحا بينهما صلحًا، ثم أدغمت التاء في الصاد فصيرتا صادًا مشددة"[١]. وهذا هو ما ذكره أيضًا ابن خالويه[٢]، والأزهري[٣]، والواحدي[٤]، وابن الجوزي[٥]، والرازي[٦]، والنَّسفي[٧]، وأبو وأبو حيان[٨]، والحنبلي[٩]، وابن زنجلة[١٠]، والبنَّاء الدمياطي[١١]، وغيرهم[١٢].

وقال الآلوسي: "وقرأ غير أهل الكوفة ـ يَصَّالحا ـ بفتح الياء وتشديد الصاد وألف بعدها، وأصله يتصالحا فأبدلت التاء صادًا وأدغمت. وقرأ الجحدري: يَصَّلحا ـ بالفتح والتشديد من غير ألف ـ وأصله يصطلحا، فَخُفِّف بإبدال الطاء المبدلة من

---

(١) تفسير الطبري ٢٧٨/٩.
(٢) الحجة في القراءات السبع ص١٢٦.
(٣) معاني القراءات ٣١٨/١.
(٤) التفسير الوسيط ١٢٥/٢.
(٥) زاد المسير ٤٨٢/١.
(٦) مفاتيح الغيب ٢٣٥/١١.
(٧) تفسير النسفي ٤٠١/١.
(٨) البحر المحيط ٨٦/٤.
(٩) اللباب في علوم الكتاب ٥١/٧.
(١٠) حجة القراءات ص٢١٤.
(١١) إتحاف فضلاء البشر ٢٤٦/١.
(١٢) ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية/ د. محمد سالم محيسن ٥٣٥/١، والتفسير المظهري/ لمحمد ثناء الله ٢٥١/٢.

تاءالافتعال صادًا وأدغمت الأولى فيها لا أنه أبدلت التاء صادًا وأدغمت . كما قال أبو البقاء . لأنَّ تاء الافتعال يجب قلبها طاء بعد الأحرف الأربعة[١].

تعليق واستنتاج:

من خلال ما سبق أرى أنَّ ما ذهب إليه السمين الحلبي وأيَّده الألوسي فيه هو الأقرب للصواب، إن لم يكن هو عين الصواب، ذلك أنَّ علماء اللغة قد نَصُّوا على إبدال تاء الافتعال طاءً إذا جاءت بعد حرفٍ من حروف الإطباق[٢]، وقد ذكر ذلك السمين في أكثر من موضع[٣]؛ وما حدث هو أنَّ أبا البقاء العكبري ذكر المراحل التي مرت بها المماثلة الكلية في هذا اللفظ، وهي إبدال التاء طاءً، ثم التخفيف من ثقل اجتماع الصاد مع الطاء فتبدل الطاء صادًا، ثم تدغم في الصاد الأولى، وهو قد اختصر المرحلة الوسطى فيها، وقد يكون ترك هذه المرحلة اعتمادًا على وضوحها وقد أدرك السمين الحلبي ذلك، ممَّا يدل على رسوخه وتمكنه في علم الأصوات واللغة عمومًا.

(٤) (إدغام الذَّال في الدَّال)

(أ) (تَذْتَخرون ـ تَذْدَخرون ـ تَدَّخرون)

قال السمين الحلبي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[٤]: "... وتدَّخرون: قراءة العامَّة (الجمهور) بدالٍ مشددةٍ مهملة، وأصله: تَذْتَخِرونَ تفتعلون من الذُّخْر وهو التَّخْبئة، يقال: ذَخَر الشيء ... ولما كان أصله: "تَذْتَخِرون" اجتمعت الذال المعجمة مع التاء . أي تاء الافتعال . أبدلت تاء الافتعال

---

(١) روح المعاني ١٥٦/٣.

(٢) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤٦/١، ٤٧، وجامع الدروس العربية/ للغلاييني ١٢٤/٢.

(٣) الدر المصون ١١٣/٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٦٩/٣.

(٤) آل عمران: من الآية (٤٩).

دالاً مهملة فالتقى بذلك متقاربان: الذال والدال، فأدغم الذال المعجمة في المهملة فصار اللفظ: تَدَّخِرون كما ترى.

... وقال أبو البقاء: "والأصل في تدَّخرون: تَذْتَخرون، إلا أنَّ الذال مجهورة والتاء مهموسة فلم يجتمعا، فأبدلت التاء دالاً، لأنَّها من مخرجها لتقرب من الذال، ثم أبدلت الذال دالاً وأدغمت[1]"[2]. وهذا هو التماثل الكلي التراجعي بين الصوتين.

الشرح والتحليل:

يُعَدُّ لفظ "تدَّخرون" من الألفاظ التي حدثت فيها المماثلة بنوعيها: الجزئية والكلية، حيث أورد السمين الحلبي في توجيهه لقراءة الجمهور (تَدَّخرون) أنَّ أصله: تذتخرون، والذال مجهور، والتاء صوت مهموس، مما أحدث تنافرًا واختلافًا في اللفظ استلزم إبداله صوتًا يلاءم الذال في جهره، والتاء في مخرجه، فجاء الدال، مجهور، ومخرجه هو مخرج التاء نفسه فصار اللفظ: "تَذْدَخِرون"، وهذا هو التماثل الجزئي التَّقدُّمي بالإبدال، ثم ازداد اللفظ تماثلاً وأدغم الذَّال في الدَّال بعد إبدال الذال دالاً، وهذا هو التماثل الكلي التراجعي بفناء صوت الذّال في الدَّال، وهذا هو ما ذكره السمين الحلبي، واستدل بقول أبي البقاء العكبري الذي وضَّح كيفية حدوث هذه المماثلة وهو ما أكَّده كثير من علماء اللغة والتفسير؛ حيث يقول الأزهري: "... وأصله (يعني: ادَّخَر): اذتخر، فقلبت التاء التي للافتعال مع الذال، فقلبت دالاً، وأدغم فيها الذال الأصلية فصارت دالاً مشددة، ومثله الادِّكار. وقال الزجاج: في قوله ـ عز وجل ـ ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، أصله: تذدخرون؛ لأن الذال حرف مجهور لا يمكن للنَّفَس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه، والتاء مهموسة

(1) إملاء ما منّ به الرحمن/ للعكبري ص١٣٦.
(2) الدر المصون ٣/٢٠٠.

فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها . وهو الدال، فصار تدَّخرون. وأصل الإدغام أن يدغم الأول في الثاني"[١]. وهذا هو ما ذكره ابن منظور[٢]، والحنبلي[٣]، والآلوسي[٤]، وصاحب كتاب الجدول في إعراب القرآن[٥]، وغيره[٦].

هذا وقد وضَّح بعض الباحثين المحدثين هذه المماثلة وكيفية حدوثها؛ حيث يقول: "ومعنى ذلك أنَّ الفعل (يذخر) عندما جاء على زنه (يفتعل) صار(تذتخرون) فالتقت تاء الافتعال مع الذال (فاء الفعل)، فقال أبو البقاء: إلا أن الذال مجهورة والتاء مهموسة فلم يجتمعا، فأبدلت التاء دالاً؛ لأنَّها من مخرجها لتقرب من الذال . ثم أبدلت الذال . دالاً . وأدغمت[٧].

تعليق واستنتاج:

من خلال ما سبق أرى أن الداعي إلى قلب التاء دالاً هو صعوبة الانتقال من نطق (الذال) المجهورة إلى نطق (التاء) المهموسة، فقلبت التاء إلى أقرب نظير مجهور وهو الدال، فصارت الكلمة (يذدخرون)، وكان هذا التقارب داعيًا إلى قلب آخر؛ ليحدث التماثل التام المسوغ لوقوع الإدغام، وهو إما أن تنقلب الذال إلى دال فتصير الكلمة (يَدْدَخِرون)، ثم يحدث الإدغام فتصير الكلمة (يَدَّخرون)، وهذا هو التماثل التراجعي، وإما أن تنقلب الدال ذالاً وتدغم فتصير الكلمة (يَذَّخرون)، وهذا

(١) تهذيب اللغة ٣٢١/٧، ٣٢٢ (ذ خ ر).
(٢) لسان العرب ٣٠٢/٤ (ذ خ ر).
(٣) اللباب في علوم الكتاب ٢٤٩/٥، ٢٥٠.
(٤) روح المعاني ١٦٣/٢.
(٥) الجدول في إعراب القرآن ١٨٨/٣.
(٦) ينظر: إعراب القرآن/للنحاس ١٦٠/١، والتفسير الوسيط/ د. محمد سيد طنطاوي ١١٥/٢.
(٧) إملاء ما منّ به الرحمن/ للعكبري ص١٣٦.

هو التماثل التَّقُدمي[١]. وقد وردت اللغتان (الفك والإدغام) عن العرب وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾، حيث وضَّح العكبري ذلك بقوله: "والأصل في (تدَّخرون): تَذْتَخِرون، إلا أنَّ الذَّال مجهورة، والتاء مهموسة، فلم يجتمعا، فأبدلت التاء دالاً؛ لأنَّها من مخرجها، لتقرب من الذَّال، ثم أبدلت الذال دالاً وأدغمت، ومن العرب من يقلب التاء ذالاً ويدغم ويقرأ بتخفيف الذال وفتح الخاء وماضيه ذَخَر"[٢]. فهذا ممَّا يدل على ثبوت هذه المماثلة بالإدغام وأنَّها أحد الوجوه في هذا اللفظ، وهو ـ في اعتقادي ـ أحسن هذه الوجوه لما فيه من تخفيف وتيسير في النطق؛ نظرًا لتماثل الأصوات وانسجامها في "تَدَّخرون" كما قال السمين الحلبي وغيره من العلماء.

(ب) (اذتكر ـ ادَّكر)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٣]ـ: "... قوله: وادَّكر: فيه وجهان: ... والعامَّة (الجمهور) على "ادَّكر" بدالٍ مهملة مشددة، وأصلها اذتكر افتعل من الذِّكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فأبدلت دالاً فاجتمع متقاربان فأبدل الأول من جنس الثاني وأدغم. وقرأ الحسن البصري[٤] بذالٍ معجمة ووجَّهوها بأنه أبدل التاء ذالاً من جنس الأولى وأدغم، وكذلك الحكم في مدكر..."[٥].

---

(١) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية/ د. عبدالرازق القيسي ص٨٩، (رسالة دكتوراه).

(٢) إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/١٣٦، وتفسير الطبري ٦/٤٣٦.

(٣) يوسف: من الآية (٤٥).

(٤) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري، الفقيه القارئ، العابد المشهور، وهو مولي أم أم سلمة، يكني أبا سعيد، وهو إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، ولد في المدينة، وأخباره كثيرة مشهورة، توفى سنة (١١٠هـ). ينظر: الوافي بالوفيات١٢/١٩٠، وغاية النهاية١/٢٣٥، والأعلام ٢/٢٤٢.

(٥) الدر المصون ٦/٥٠٧.

الشرح والتحليل:

حدَّد السمين الحلبي المماثلة الكلية بالإدغام في "ادَّكر"؛ وذلك عند توجيهه لقراءة الجمهور "وادَّكر بَعْدَ أُمَّةٍ"؛ حيث بيَّن أصله، وهو "اذتكر" على افتعل من الذكر، اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربان في المخرج والصفات، فأبدل التاء بصوت مجانس لها، ومقارب للذال في الجهر؛ حيث إنَّ التاء صوت مهموس، والذال مجهور، مما يؤدي إلى التنافر والاختلاف، فجئ بصوت الدال وهو مجهور، وهو يشترك مع التاء في المخرج، وقد أثر صوت الدال على الذال تأثيرًا تراجعيًا فأبدل الذال بصوتٍ مماثل للدَّال وأدغم في الدال الأولى، وهذا هو التماثل الكلي التَّام التراجعي بالإدغام في ادَّكر، وهذا هو ما أراد السمين الحلبي قوله، ولكنه لم يستعمل المصطلحات الحديثة لهذه الظاهرة شأنه شأن قدامى اللغويين.

هذا وقد توافق قول السمين الحلبي مع أقوال كثير من علماء اللغة والتفسير في هذا اللفظ، ومن ذلك ما ذكره الأخفش بقوله: "... وإنَّما هي افتعل من "ذكرت" فأصلها "اذتكر"، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ومخرجاهما متقاربان، وأرادوا أن يدغموا، والأول حرف مجهور، وإنَّما يدخل الأول في الآخر، والآخر مهموس، فكرهوا أن يذهب منه الجهر فجعلوا في موضع التاء حرف من موضعها مجهورًا وهو الدال؛ لأنَّ الحرف الذي قبلها مجهور، ولم يجعلوا الطاء؛ لأن الطاء مع الجهر مطبقة. وقد قال بعضهم مُذكَّر فأبدل التاء ذالاً ثم أدخل الذال فيها[1]. وهذا هو ما قاله ابن الجوزي[2]، والقرطبي[3]، وغيرهم[1].

---

(١) معاني القرآن/ للأخفش ٣٩٨/١.
(٢) زاد المسير ٤٤٣/٢.
(٣) تفسير القرطبي ٢٠٢/٩.

هذا وقد وضَّح العكبري العلة في هذا التماثل بين الدال والذال في "ادَّكر"، بقوله: "قد أبدلت من تاء افتعل إذا كانت الفاء دالاً أو زايًا، وعلَّة ذلك: أنَّ هذه الحروف فيها صفير وجهر وشدة، والتاء مهموسة رخوة، فإذا سكن الحرف القوي وبعده ضعيف كان في إخراج القوي بصفته وسكونه وإتباع الضعيف إياه بلا فصل كلفة شديدة، فأبدل من التاء حرف يقرب منها في المخرج، ويقرب من الحرف الآخر في الصفة، وذلك هو الدال، فإنَّها من مخرج التاء، فالدال في قولك: درأ ادَّرأ وأصله: ادترأ، فقلبت التاء دالاً وأدغمت الأولى فيها وأتيت بهمزة الوصل لسكون الدال الأولى بسبب الإدغام، ولا يجوز قلب الدال هنا تاء وترك تاء الافتعال لئلا تبطل القوة التي في الدال ... وإن شئت قلبت التاء ذالاً لتجانس الذال"[٢].

كما زاد بعضهم الأمر توضيحًا بقوله: "ادَّكر" فيه إبدالان: الأول: إبدال التاء دالاً، أصله: اذتكر على وزن افتعل ـ مجرَّدة ذكر ـ قلبت تاء الافتعال دالاً بعد الذال، ثم قلبت الذال دالاً لاقتراب المخرجين، ثم أدغمت الدالان فأصبح ادَّكر"[٣].

أمَّا علماء اللغة المحدثون فقد حَدَّدوا نوع هذا التَّأثُّر وكيفية حدوث هذه المماثلة؛ حيث يقول الدكتور أنيس: "فصياغة "افتعل" من (دَعَا، ذَكَر، زاد) هي في الأصل (ادْتَعَى، اذْتَكَر، ازْتاد)، فاجتمع في كل من هذه المثُل صوتان متجاوران: الأول منهما مجهور والثاني مهموس، فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت

---

(١) ينظر: النسفي٢/١١٤، وتفسير الثعالبي٣/٣٣٠، والبرهان في علوم القرآن/ للزركشي١/٢٩٨، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٧٣٤، وتفسير المنار١٢/٢٦٢، والتفسير القرآني للقرآن ٦/١٢٧٩، والتحرير والتنوير١٢/٢٨٣، وإعراب القرآن وبيانه٤/٥٠٢، والموسوعة القرآنية ٤/١٦٤.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب/ للعكبري ٢/٣٤٩.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم/ لمحمود صافي ١٢/٤٤١.

مجهور أيضًا ليجتمع صوتان مجهوران؛ ولأنَّ التاء المهموسة حين يجهر بها تصير "دالاً" أصبحت هذه المثل: (ادَّعى، ازدكر، ازداد). وهذا تأثر تَقَدُّمي؛ لأنَّ الثاني تأثر بالأول، على أنَّه قد أصاب الكلمتين الأخيرتين تطور آخر؛ إذ صارتا في بعض الأحيان (ادَّكر، ازَّاد) ففني الصوت الثاني في الأول ونطق بهما صوتًا واحدًا كالأول، وهذا التأثر تقدُّمي أيضًا، غير أنَّ الشائع الكثير الاستعمال في "اذَّكر" هو "ادَّكر"؛ أي: أنَّ الصوت الأول قد فني في الصوت الثاني، وبذلك صار التأثر تراجعيًا"[1].

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال ما سبق أنَّ ما ذكره السمين الحلبي بخصوص المماثلة الكلية بالإدغام في "ادَّكر" صحيحٌ وواردٌ، وقد أيَّده كثير من علماء اللغة والتفسير مما يدل على أهمية هذه الظاهرة ودورها الفاعل في تخفيف ثقل الألفاظ بما يحدث من تنافر بين أصواتها، فإنَّ هذه المماثلة تحدث الانسجام والتواءم بين هذه الأصوات، ومن ثم التخفيف والاقتصاد في المجهود العضلي[2].

(٥) (إدغام التاء المنقلبة عن واو أو ياء في التَّاء)

(أ) (اوتَقَي ـ اتْتَقَي ـ اتَّقَي)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى:﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]ـ: "... والمتقين: جمع مُتَّقٍ، وأصله: متقيين بياءين، الأولى لام الكلمة والثانية علامة

---

(١) الأصوات اللغوية/ د.إبراهيم أنيس ص١٤٧، وينظر: أصوات اللغة العربية/ د. عبدالغفار هلال ص٢٣٧.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ص١٨٨.

(٣) البقرة: من الآية (٢).

الجمع ... ومُتَّقٍ من اتَّقى يتَّقي وهو مُفْتَعِل من الوقاية، إلا أنَّه تطرد في الواو والياء إذا كانا فاءين ووقعت بعدهما تاء الافتعال أن يُبْدَلا تاءً نحو: اتَّعد من الوعد، واتَّسر من اليُسْر، وفِعْلُ ذلك بالهمزة شاذ، قالوا: اتَّزر واتكل من الإزار والأكل[١]... وقال في موضع آخر: (تتقون) وأصلها: (توتقيون)؛ لأنَّه من الوقاية، فأبْدِلت الواو تاء قبل تاء الافتعال وأدغمت فيها..."[٢].

الشرح والتحليل:

من الواضح أنَّ المماثلة في هذا الموضع مسبوقة بالإبدال للواو التي وقعت فاءً للكلمة في (اوتقي) على (افتعل) إلى تاء، ثم المماثلة تحدث بإدغام التاءين ليصير اللفظ "اتَّقي" وتصاريفه هي: يَّتقي، ومُتَّقِي، والجمع متَّقين وأصلها: موتقين، وإبدال الواو أو الياء التي تقع فاءً لافتعل مطرد كما في: اتَّزر واتَّكل وغيرهما، وهذا هو ما ذهب إليه السمين الحلبي، وتوافق مع كثير من علماء اللغة والتفسير في ذلك، كالأزهري، الذي يقول: "قلت اتَّقي كان في الأصل: اوتقي،والتاء فيها تاء الافتعال، فأدغمت الواو في التاء وشددت، فقيل: اتَّقي"[٣]، وهو ما ذهب إليه الجوهري بقوله: "اتَّقى يَّتقي، أصله: اوتقي على افتعل، فقلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال تَوَهَّموا أنَّ التاء من نفس الحرف فجعلوه اتَّقي يتَّقي بفتح التاء فيهما مخفَّفة"[٤]، وهذا هو ما ذهب إليه الرَّضي[٥]، وغيره[٦] من علماء اللغة والتفسير.

---

(١) الدر المصون ١/٩٠.
(٢) المصدر السابق ١/٩١.
(٣) تهذيب اللغة ٩/٢٠٠ (و ق ي).
(٤) الصحاح ٦/٢٥٢٦ (و ق ي).
(٥) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب/ للرضي ٤/٤٩٦.
(٦) ينظر: المحرر الوجيز ١/١٠٥، والنهاية/ لابن الأثير ٥/٢١٧، واللباب في علوم الكتاب ١/٤١٣، وبصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروزآبادي ٢/٢٩٩، والجدول في

تعليق واستنتاج:

من الواضح أنَّ المماثلة الصوتية قد حدثت بصورتيها الجزئية والكلية (الإبدال والإدغام) في هذا اللفظ؛ حيث الإبدال لفاء الكلمة وهو الواو إلى تاء، فصار اللفظ من (اوتقي) إلى (اتْتَقَى) بتاءين، ثم أدغمت التاء في التاء فصار (اتَّقى)، وقد شاع ذلك حتى ظُنَّ أنَّ التاء المدغمة هي من أصل اللفظ، وقد أدرك السمين الحلبي هذه المماثلة وكيفية حدوثها في كتابه الدر المصون، وقد ظهر دور المماثلة الصوتية في تخفيف ثقل هذا اللفظ وإزالة ما فيه من تنافر واختلاف.

إعراب القرآن الكريم ١٥١/٣، وتاج العروس/ للزبيدي ٢٢٧/٤٠ (و ق ي) وغيرها من المصادر.

(ب) (ايتخذ ـ اتْتَخذ ـ اتّخذ)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾[١]: "... واختلف في اتخذ فقيل: هو افتعل من الأخذ والأصل: أأتخذ، الأولى همزة وصل، والثانية فاء الكلمة، فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة بعد أخرى، فوجب قلبها ياء كإيمان، فوقعت الياء فاءً قبل تاء الافتعال فأبْدلت تاءً وأدغمت في تاء الافتعال كاتَّسر من اليسر، إلا أنَّ هذا قليل في باب الهمز نحو: اتَّكل من الأكل واتَّزر من الإزار، وقال أبو علي: هو افتعل من تخذ يتخذ[٢]... والقُرَّاء على إدغام الذال في التاء لقرب مخرجهما"[٣].

الشرح والتحليل:

الحديث عن المماثلة في "اتَّخذ" يأخذ اتجاهين، الأول: هو الإبدال لفاء الكلمة وهي الهمزة إلى (ياء)، ثم إبدال الياء: تاءً؛ ليحدث التماثل والانسجام؛ والثاني: المماثلة الكلية بالإدغام؛ حيث تدغم التاء في التاء. وهذا هو التماثل التام بالإدغام والتأثير فيه تأثير تراجعي، حيث أثَّرت التاء على الياء فأبدلت تاءً، ثم أدغمت التاء في التاء، وهذا هو ما ذهب إليه كثير من علماء اللغة والتفسير؛ حيث يقول الحنبلي الدمشقي: "واختلف في "اتخذ" فقيل: هو "افتعل" من الأخذ والأصل "ائتخذ" الأولى همزة وصل والثانية فاء الكلمة فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة بعد أخرى، فوجب قلبها ياء كإيمان، فوقعت الياء فاء قبل تاء الافتعال، فأبدلت تاء

---

(١) البقرة: من الآية (٥١).

(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الفارسي ١٦٣/٥.

(٣) الدر المصون ٣٥٤/١، ٣٥٥.

وأدغمت في تاء الافتعال كـ(اتَّسر) من اليسر، إلا أن هذا قليل في باب الهمز.."[1]، وهذا هو ما قاله كثير من علماء اللغة والتفسير[2].

تعليق واستنتاج:

اتَّضح من خلال ما سبق أنَّ أساس الخلاف بين هؤلاء العلماء هو الخلاف حول أصل هذا اللفظ، هل هو (افتعل) من الأخذ؟ أم أنَّه (افتعل) من تَخَذ يَتَّخذ، كما قال أبو علي الفارسي؟ وعلى كلا الرأيين فقد حدثت المماثلة الكلية التراجعية بإدغام التاء في التاء، ولكن على الرأي الأول تكون هناك مماثلة جزئية تراجعية بإبدال الياء التي أصلها ألف (أخذ) إلى تاء، ثم إدغام التاءين، وعلى الرأي الثاني (رأي أبي علي الفارسي) لا توجد هذه المماثلة الجزئية التراجعية؛ لأنَّ التاء من أصل اللفظ، وهذا هو مدار الخلاف (أصلية التاء أو إبدالها من ياء). وأعتقد أن الرأي الأول هو الأقرب للصواب وأنَّ اللفظ قد تعرَّض للمماثلة الجزئية بالإبدال، ثم المماثلة الكلية بالإدغام، وهذا هو التطور الطبيعي للَّفظ وما ذهب إليه جمهور علماء اللغة والتفسير وغيرهم بخلاف الرأي الثاني.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢/٧٠.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية/ لمكي ابن أبي طالب ١/٢٦٥، والتيسير/ لأبي عمرو الداني ص١١٨، والنشر في القراءات العشر ٢/٣١٥، وأثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية ص٢٩٥، (رسالة دكتوراه)، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم/ للصاعدي ٢/٦٦٩.

ثانياً ـ الإدغام في كلمتين بلا فصل

(١) إدغام اللام في الصَّاد

(قُلْ صَدَق ـ قُل صَّدَقَ)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ﴾[١]ـ: "... العامة (الجمهور) على إظهار لام "قل" مع الضَّاد، وقرأ أبان ابن تغلب[٢] بإدغامها فيها وكذلك أدغم اللام في السين في قوله: "قل سيروا" وسيأتي أنَّ حمزة والكسائي وهشامًا أدغموا اللام في السين من قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾[٣]، قال أبو الفتح: "وعلَّة ذلك فُشُوُّ هذين الحرفين في الفم وانتشار الصوت المنبثِّ عنهما فَقَارَبَتَا بذلك مخرج اللام فجاز إدغامها فيهما، وهو مأخوذ من كلام سيبويه[٤]. قال: والإدغام ـ يعني: إدغام اللام مع الطاء والصاد وأخواتهما ـ جائز وليس ككثرته مع الراء؛ لأنَّ هذه الحروف تراخين عنها وهي من الثنايا، قال: وجواز الإدغام؛ لأنَّ آخر مخرج اللام قريب من مخرجها. انتهى[٥].

وذكر أبو البقاء عبارة توضِّح ما تقدم، وهي: لأنَّ الصَّاد فيها انبساط وفي اللام انبساط بحيث يتلاقى طرفاهما فصارا متقاربين[٦].

الشرح والتحليل:

---

(١) آل عمران: من الآية (٩٥).
(٢) أبَّان بن تغلب: الربعي، كان ثقة، روى عنه شعبة، توفي بالكوفة في خلافة أبي جعفر وعيسى بن موسى والي على الكوفة سنة (١٤١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى٦/٣٦٠، والثقات/ لابن حبان٦/٦٧، والوافي بالوفيات ٥/١٩٩، وغاية النهاية ١/٤.
(٣) يوسف: من الآية (١٨).
(٤) الكتاب ٢/٤١٧، والمحتسب/ لابن جني ١/١٦٥، وفلسفة ابن جني اللغوية ص١٩١، ١٩٢.
(٥) الدر المصون ٣/٣١٣.
(٦) إملاء ما منّ به الرحمن ١/١٤٣.

عرض السمين الحلبي خلال هذا الموضع من كتابه: للمماثلة الصوتية الكلية بالإدغام بين صوتين صامتين في كلمتين بلا فاصل بينهما من سكت أو غيره، وطوَّف بنا على العلة في صوت الصفير الذي يحدث من السين والصاد، وهي انتشار الهواء في الفم، ووضَّح العلة في هذا الإدغام بين اللام والصاد، وهي التقارب بين الصوتين الصاد واللام في وضع الفم والاتساع والانتشار خلال النطق بهما؛ ولذلك أكَّد هذا الكلام بما أورده العكبري عن سبب تقارب اللام والصاد وهي اشتراكهما في الاتساع والانبساط، وهذا هو ما ذكره أيضًا ابن عطية[١]، وابن الحنبلي الدمشقي[٢]، وأبو حيان[٣] وغيرهم[٤].

تعليق واستنتاج:

بَدَا من خلال ما سبق إدراك علماء اللغة القدامى والمحدثين لأهمية هذه المماثلة؛ ولذلك بحثوا عن العلة في هذا التماثل والتقارب؛ حيث ذكر ابن جني أنَّ العلة في هذا الإدغام والمماثلة هي فُشُوُّ هذين الحرفين في الفم وانتشار الصوت المنبثِّ عنهما فتقاربا بذلك في المخرج فجاز إدغامهما، ومن الواضح أنَّ ابن جني قد نَهَجَ في ذلك نَهْجَ سيبويه حين قال يجوز إدغام ذلك. والذي يبرز إدغام اللام في أصوات الصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء أنَّ اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعًا في اللغة العربية، ولا شك أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضًا للتطور اللغوي من غيرها..."، وهذا هو المسوغ الصوتي لهذه المماثلة والتقريب بين اللام وهذه الأصوات[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤٧٤/١.
(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣٩٥/٥.
(٣) البحر المحيط ٢٦٧/٣.
(٤) ينظر: شرح طيبة النشر/ لابن الجزري ١٠٩/١، والموسوعة القرآنية ١٤٤/٥.
(٥) ينظر: فلسفة ابن جني اللغوية/ د. حسن سيد فرغلي ص١٩٢، ١٩٤ (بتصرف).

(٢) إدغام النُّـون في الواو

(يَسـين وَّالقرآن، ن وَّالقلم)

قال السمين الحلبي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[١]:

"... قرأ العامَّة (الجمهور) "يسين" بسكون النون؛ وأظهر النون عند الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون[٢] وورش[٣] بخلافٍ عنه، وكذلك النون من: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾[٤]، وأدغمها الباقون. فمن أدغم فللخفة؛ ولأنَّه لما وصل والتقى متقاربان من كلمتين أوَّلهما ساكن وجب الإدغام، ومن أظهر فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض؛ لأنَّه بِنِيَّة الوقف، وهذا أجرى على القياس في الحروف المقطعة؛ ولذلك التقى فيها الساكنان وَصْلاً، ونَقَل إليها حركة همزة الوصل[٥].

الشرح والتحليل:

---

(١) يسن: الآيات (١، ٢).

(٢) قالون: هو عسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني، مولي الأنصاري، أبو موسى أحد القراء المشهورين من أهل المدينة، مولدًا ووفاة، انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز وكان أصم يُقْرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتي القارئ، فيرد عليه اللحن والخطأ، توفى سنة (٢٢٠هـ). ينظر: الثقات/ لابن حبان٨/٤٩٣، ومعجم الأدباء٥/٢١٤٤، ومعرفة القراء الكبار ص٩٣.

(٣) وَرْش: هو عثمان بن سعيد بن عدي المصري، من كبار القراء، غلب عليه لقب "وَرْش"؛ لشدة بياضه، أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر، توفى سنة (١٩٧هـ). ينظر: الثقات/ لابن حبان٨/٤٥٢، والوافي بالوفيات٢٠/٢١، وغاية النهاية ١/٥٠٢، والأعلام ٤/٢٠٥.

(٤) القلم: من الآية (١).

(٥) الدر المصون ٩/٢٤٣.

أثبت السمين الحلبي من خلال النَّص السابق المماثلة الكلية التراجعية بالإدغام في الصوامت، بين صوتين في كلمتين بلا فصل، وهذان الصوتان متقاربان في المخارج والصفات، فالنون من الحروف الذلقية التي تخرج من ذلق اللسان وأصول الثنايا العليا[١]، والواو من الحروف الشفوية، التي تخرج من بين الشفتين[٢]، وهما متقاربان في المخرج، وليس بينهما من فرقٍ في الصفات إلا في الإصمات والذلاقة، والشدة والرخاوة، فالواو مصمت، والنون ذلق، والواو من الأصوات الرخوة، والنون من الأصوات المتوسطة[٣]. والإدغام يحقق الانسجام والخفَّة، كما قال السمين الحلبي.

هذا وقد أثبت هذه المماثلة بعض العلماء، ومن هؤلاء أبو جعفر النحاس الذي يقول: "في: (يسن) أوجه من القراءات، قرأ أهل المدينة والكسائي: يسن والقرآن الحكيم بإدغام النون في الواو ... قال أبو جعفر: القراءة الأولى بالإدغام على ما يجب في العربية؛ لأنَّ النون تدغم في الواو لشبهها بها..."[٤]. هذا وقد ذكر الدكتور عبده الراجحي: أنَّ هذا الموضع من مواضع الإدغام التي اختلف فيها القُرَّاء، فإدغام النون مع الواو نحو (يسن والقرآن) قراءة الكسائي ويعقوب بإدغامهما في الواو، واختلف عن نافع وعاصم وقرأ الباقون بالإظهار[٥].

(١) العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣/٤.
(٢) العين ٥٨/١، وسر صناعة الإعراب ٤٧/١.
(٣) أصوات اللغة العربية/ د. عيد الطيب ص٩٤، ١٠٠.
(٤) إعراب القرآن / للنحاس ٢٥٨/٣
(٥) ينظر: النشر ١٧/٢، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/ د. عبده الراجحي ص١٥٤.

تعليق واستنتاج:

من خلال ما سبق ظهر أنَّ العلة في وجود هذه المماثلة والتقريب بين صوتي النون والواو في هذا الموضع هو التخفيف من ثقل اجتماع الصوتين وبينهما اختلاف وتنافر في الصفات، والإدغام يحقق الخفة والانسجام كما ذكر السمين الحلبي وغيره، وهو أحد الوجوه فيها، وبعض القراءات، يقابله الإظهار. وأعتقد أنَّ التطور اللغوي والسهولة في الأداء والنطق يتطلب هذه المماثلة والتقريب فهي أولى بالقبول والأوجه في الاستعمال[1]. والله أعلم.

تعقيب

بعد هذا العرض والمناقشة لمظاهر المماثلة والتقارب الكلي بالإدغام في الدر المصون، وما مَثَّلها من قراءات قرآنية، ومن خلال الحديث عن هذه الظاهرة بصفة عامة، يتَّضح لنا ما يأتي:

١. **أنَّ الإدغام في لغتنا العربية يكاد ينحصر في التأثير التراجعي، الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالصوت الثاني، في حين يندر ويقل مجيء الإدغام بتأثير تَقَدُّمي، يتأثر فيه الصوت الثاني بالأول.**

٢. **أنَّ الإدغام في الأمثلة محل الدراسة من الإدغام الصغير، الذي هو عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكنًا، أي أن الصامت الأول لا يفصله عن الثاني سوى صوت صائت.**

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ص١٨٨.

٣. **أن القراءة بالمماثلة الكلية (الإدغام) كانت منتشرة ومشهورة بين القراء، والكثير منهم قد شارك فيه ولو بقدر ضئيل، حتى إنَّ أبا عمرو بن العلاء نجده يقول: "الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتهم ولا يحسنون غيره".**

٤. **اجتماع المماثلة الجزئية مع المماثلة الكلية وارد في بعض الألفاظ، فالجزئية تعدُّ ممهِّدة للكلية، فالإبدال يسبق الإدغام مما يدل على أهمية هذه الظاهرة بشقَّيها وأنَّهما يكملان بعضهما البعض للوصول إلى الخفة والانسجام في الألفاظ.**

٥. **ظهر من خلال هذه الدراسة أنَّ الجمهور يلجأ في أغلب أحواله إلى استعمال هذه الظاهرة في القراءات القرآنية؛ حيث التيسير والتخفيف في الكلام.**

٦. **تبين لي من خلال الدراسة في هذه الظاهرة أن الإدغام سمة القبائل البدوية، وأن الإظهار لهجة الحجازيين، وأنَّ الإدغام أو المماثلة رغم أنَّه سمة القبائل البدوية إلا أنه من مظاهر التطور اللغوي حديثًا حيث الخفة والسهولة في النطق تلجأ إليه العامَّة والخاصَّة في العصر الحديث[١].**

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ص١٨٨، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٣٠، ١٣١.

الخاتمة

هكذا وبعد انتهاء الدراسة في هذا الموضوع من موضوعات علم الأصوات، ودوره البارز في صياغة الألفاظ والعبارات، أذكر فيما يأتي أهم النتائج التي توصَّلت إليها من خلال البحث في موضوع "المماثلة الصوتية بين الصوامت في الدر المصون للسمين الحلبي، ومنها:

١. جمع شتات هذه الظاهرة تحت عنوان واحد؛ حيث رأيتُ أنَّها دائمًا ما تكون موزَّعة بين الإبدال والإدغام وغيرها من الظواهر الصوتية، وهذا نهج أغلب الباحثين الذي سبق لهم التعرض لهذه الظاهرة.

٢. أنَّ المماثلة الصوتية من الظواهر القديمة الحديثة؛ حيث خضعت مصطلحاتها إلى تغييرات كبيرة على يد ابن جني وسيبويه، ثم الدكتور إبراهيم أنيس وغيرهم.

٣. ظهر أنَّ معالجة السمين الحلبي للمماثلة لا تبتعد كثيرًا عن الدراسات التي تناول بها علماء الأصوات المحدثون هذه الظاهرة، فعلينا أن نستثمر هذه الجهود الرائدة، ونحسن توظيفها في ضوء المنهج الصوتي الحديث.

٤. أهمية المماثلة الصوتية في التخفيف من ثقل تنافر الأصوات واختلافها في الألفاظ، ودورها البارز في تحقيق التوافق والانسجام بين هذه الألفاظ، وأنَّها ظاهرة قياسية تحدث باطراد لتسهيل عملية النطق.

٥. براعة السمين الحلبي في معالجة هذه الظاهرة بتفريعاتها المختلفة خلال كتابه الدر المصون، وظهور شخصيته في الشرح والتحليل لهذه الظاهرة.

٦. كثرة القراءات القرآنية الواردة بهذه الظاهرة مما يدل على أنَّ السمين الحلبي كان له باع كبير في علم القراءات، وتوجيهها التوجيه السليم في إطار الفهم الصحيح للُّغة وجوانبها المختلفة.

٧. **ظهر أن كتاب الدر المصون من الكتب التي تهتم بالجانب اللغوي وخاصة الأصوات في شرح الألفاظ وتفسير المعاني.**

٨. **ظهر أنَّ للمماثلة الصوتية بين الصوامت تفريعات أخرى غير الإدغام كالإبدال، وأن المماثلة الجزئية تحدث في الصوامت والصوائت، أما الكلية فلا تكون إلا في الصوامت.**

وأخيرًا أوصي بضرورة دراسة الظواهر الصوتية الفرعية في كتب التفسير والحديث فهي بحق وعاء للغة العرب؛ وحيث إن هذه الظواهر لم تنل حظها من الدراسة.

كما أوصى بضرورة تحقيق ما لم يحقَّق من كتب التفسير والحديث حتى يمكن الباحثون اللغويون من الكشف عن إسهام علماء التفسير في الفكر اللغوي، وإضافة مجهوداتهم مع علماء الحديث إلى التراث اللغوي خدمة للغة القرآن والسنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس الفنية

(١) فهرس المصادر والمراجع

أولاً ـ الرسائل العلمية:

١. أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس نموذجًا/ للدكتور عبدالرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة حلوان ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٢. إعراب القرآن العظيم/ المنسوب لأبي زكريا الأنصاري، تحقيق/ د. موسى علي موسى، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٣. تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم/ لعبدالرزاق بن فرج الصاعدي، رسالة دكتوراه، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤. الهداية إلى بلوغ النهاية/ لمكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م.

ثانياً ـ المطبوعات

. القرآن الكريم (جلَّ من أنزله)

(حرف الألف)

١ ـ الإبدال/ لابن السكيت، تحقيق/ د. حسين شرف، مراجعة/ أ. علي النجدي ناصف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢ . الإبدال/ لأبي الطيب اللغوي، تحقيق/ عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.١٩٦٠م.

٣ . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ للبنَّا الدمياطي، تحقيق/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ .٢٠٠٦م.

٤ . الإتقان في علوم القرآن/للسيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ.١٩٧٤م.

٥ . الأزهري اللغوي صاحب معجم تهذيب اللغة/ للدكتور سميح أبو مغلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان . الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .١٩٩٨م.

٦ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ للقرطبي، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار الجيل . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.١٩٩٢م.

٧ . أسد الغابة في معرفة الصحابة/ لابن الأثير، تحقيق/ علي محمد معوض ورفيقه، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.١٩٩٤م.

٨ . الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر، تحقيق/ عادل عبدالموجود ورفيقه، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.١٩٩٤م.

٩ . أصوات اللغة العربية/ للدكتور حسن سيد فرغلي، طبعة ١٤٢٠هـ.١٩٩٩م.

١٠ . أصوات اللغة العربية/ للدكتور عبدالغفار هلال، مكتبة وهبة . القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.١٩٩٤م.

١١ . أصوات اللغة العربية/للدكتور عيد الطيب، مطبعة الأمانة . القاهرة ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م.

١٢ . أصوات اللغة العربية/ للدكتور محمد حسن جبل، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٣ . الأصوات اللغوية/ للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

١٤ . الأصوات اللغوية/ للدكتور عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٥ . إعراب القرآن/ لأبي جعفر النحاس، تحقيق/ عبدالمنعم خليل إبراهيم، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٦ . إعراب القرآن وبيانه/ لمحيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص . سوريا، ودار اليمامة . دمشق، بيروت، ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

١٧ . الأعلام/ للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

١٨ . إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه القراءات في جميع القرآن/ للعكبري، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

١٩ . إنباه الرواة/ للقفطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٠ . الإنباه على قبائل الرواة/ للقرطبي، تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي . بيروت، لبنان ١٩٨٥م.

٢١ . إيجاز البيان عن معاني القرآن/ للنيسابوري، تحقيق/ د. ضيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(حرف البـــاء)

٢٢ . باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن/ للنيسابوري، تحقيق/ سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة (حرسها الله تعالى) ١٤١٩هـ .١٩٩٨م.

٢٣ . البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت . لبنان ١٤٢٠هـ.

٢٤ . البرهان في علوم القرآن/ للزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ .١٩٥٧م.

٢٥ . بصائر ذوي التمييز/ للفيروزآبادي، تحقيق/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

٢٦ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ للسيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

٢٧ . بيان المعاني/ لعبدالقادر بن ملَّا العاني، مطبعة الترقي، دمشق . سوريا، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ .١٩٦٥م.

(حرف التـــــاء)

٢٨ . تاريخ الأدب العربي/ لكارل بروكلمان، ترجمة/ د. رمضان عبدالتواب، ود. السيد يعقوب بكر، الطبعة الثانية، دار المعارف . القاهرة.

٢٩ . تاريخ الإسلام/ للذهبي، تحقيق/ د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي . بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٣٠ . تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

٣١ . التبيان في إعراب القرآن/ للعكبري، تحقيق/ علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه (ولم تذكر سنة الطباعة).

٣٢ . التجويد والأصوات/ للدكتور إبراهيم نجا، مطبعة السعادة بمصر (ولم تذكر سنة الطباعة).

٣٣ . التحرير والتنوير/ للطاهر بن عاشور، الدار التونسية . تونس ١٩٨٤م.

٣٤ . ترتيل القرآن الكريم/ للدكتور عبد الفتاح البركاوي، مطبعة الجريسي . القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .٢٠٠٤م.

٣٥ . التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه/ للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض . طبعة ١٤٠٤هـ .١٩٨٣م.

٣٦ . تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)/ لابن جزي الغرناطي، تحقيق/ د. عبدالله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٣٧ . تفسير الألوسي (روح المعاني) تحقيق/ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، وطبعة دار الفكر . بيروت.

٣٨ . تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)/ لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

٣٩ . تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) للبغوي، تحقيق/ عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٤٠ . تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاوي، تحقيق/ محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤١ . تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للثعالبي، تحقيق/ الشيخ محمد علي معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٢ . تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) للثعلبي، تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق/ أ. نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.

٤٣ . تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ للشيخ العلامَّة محمد الأمين الشافعي، إشراف ومراجعة/ د. هاشم محمد علي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م.

٤٤ . تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن، تصحيح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٥ . تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٤٦ . تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، من دون بيانات أخرى، المكتبة الشاملة.

٤٧ . تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)/ للطبري، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠م.

٤٨ . تفسير القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ـ١٩٩٤م.

٤٩ . التفسير القرآني للقرآن/ لعبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

٥٠ . التفسير المظهري/ للمظهري محمد ثناء الله، تحقيق/ غلام بني التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستانية، طبعة ١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م.

٥١ . تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)/ لمحمد رشيد رضا، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٥٢ . التفسير المنير/ للدكتور وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٥٣ . تفسير النسفي (مدار التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات النسفي، تحقيق/ يوسف علي بديوي، ومراجعة/ محيي الدين ديب مستو، الناشر/ دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٩٨م.

٥٤ . تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للنيسابوري، تحقيق/ الشيخ زكريا عميران، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٥ . التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للدكتور سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطبعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى يناير ١٩٩٧م.

٥٦ . تهذيب اللغة/ للأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٥٧ . التيسير في القراءات السبع/ لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه/ أوتوبرتزل، مطبعة المثنى، بغداد (ولم تذكر سنة الطباعة).

(حرف الثـــــاء)

٥٨ . الثقات/ لابن حبَّان، الناشر/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .١٩٧٣م.

(حرف الجـــــيم)

٥٩ . جامع الدروس العربية/ للغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون ١٤١٤هـ .١٩٩٣م.

٦٠ . الجدول في إعراب القرآن الكريم/ لمحمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ومؤسسة الإيمان . بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

(حرف الحـــــاء)

٦١ . حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي/ للشهاب الخفاجي، دار صادر . بيروت (ولم تذكر سنة الطباعة).

٦٢ . الحجة في القراءات السبع/ لابن خالويه، تحقيق/ عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق . بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

٦٣ . حجة القراءات/ لابن زنجلة، تحقيق/ سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ .١٩٨٤م.

(حرف الخـــــاء)

٦٤ . الخصائص/ لابن جني، تحقيق/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

٦٥ . الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الفارسي، تحقيق/ بدر الدين قهوجي ورفاقه، دار المأمون للتراث . دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .١٩٩٣م.

٦٦ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ لعبدالقادر البغدادي، تحقيق وشرح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(حرف الـــــدال)

٦٧ . دراسة الصوت اللغوي/ للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب . القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٦٨ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ لأبي حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

٦٩ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي، تحقيق/ د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(حرف الـــــراء)

٧٠ . روح المعاني/ للألوسي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(حرف الـــــزاي)

٧١ . زاد المسير في علم التفسير/ لابن الجوزي، تحقيق/ عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٧٢ . زهرة التفاسير/ لأبي زهرة، دار النشر/ دار الفكر العربي (ولم تذكر سنة الطباعة).

(حرف الســـــين)

٧٣ . السبعة في القراءات/ لابن مجاهد، تحقيق/ د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة (ولم تذكر سنة الطباعة).

٧٤ . السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير/ لشمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية) . القاهرة ١٢٨٥هـ.

٧٥ . سر صناعة الإعراب/ لابن جني، تحقيق/ د. حسن هنداوي، دار القلم . دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م.

(حرف الشـــــين)

٧٦ . شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه (ولم تذكر سنة الطباعة).

٧٧ . شرح شافية ابن الحاجب/ للرضي، دار الفكر العربي . بيروت، لبنان ١٣٩٥هـ .١٩٧٥م.

٧٨ . شرح شواهد مغني اللبيب/ للسيوطي، تحقيق/ محمد محمود الشنقطي، مطبعة الخانجي، محمد أفندي مصطفى، القاهرة ١٣٢٢هـ.

٧٩ . شرح طيبة النشر/ لابن الجزري، ضبط وتعليق/ الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .٢٠٠٠م.

٨٠ . شرح الكافية الشافية/ لابن مالك، تحقيق/ عبدالمنعم أحمد هريدي، الناشر/ جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٨١ . شرح المفصَّل/ لابن يعيش، تقديم/ د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .٢٠٠١م.

(حرف الصـــــاد)

٨٢ . الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تحقيق/ أحمد عبدالغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.

(حرف الطـــــاء)

٨٣ . الطبقات الكبرى/ لابن سعد، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٨٤ . طبقات المفسرين/ للداودي، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

(حرف العـــــين)

٨٥ . العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير/ للشنقيطي، تحقيق/ خالد بن عثمان السبت، إشراف/ بكر بن عبدالله أبو زيد، الناشر/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

٨٦ . العنوان في القراءات السبعة/ لابن خلف، تحقيق/ د. زهير زاهر، ود. خليل العطية، عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

٨٧ . العين/للخليل، تحقيق/ مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر والتوزيع ـ العراق، ١٩٨٠م.

(حرف الغـــــين)

٨٨ . غاية النهاية في طبقات القراء/ لابن الجزري، نشره/ ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

٨٩ . غريب الحديث/ للخطابي، تحقيق/ عبدالكريم العزباوي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٢م.

(حرف الفـــــاء)

٩٠ . فتح البيان في مقاصد القرآن/ للقنوجي، تقديم ومراجعة/ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر . صيدا، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٩١ . فتح القدير/ لكمال الدين بن الهمام، دار الفكر (من دون بيانات أخرى).

٩٢ . فلسفة ابن جني اللغوية في بعض القراءات الشاذة: دراسة نظرية تطبيقية/ للدكتور حسن سيد فرغلي، مطبعة الوفاق الحديثة بأسيوط ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(حرف القـــــاف)

٩٣ . قراءة سعيد بن جبير: دراسة لغوية/ للدكتور عبدالهادي أحمد السلمون، مطبعة الجريسي للكمبيوتر والطباعة . القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٩٤ . القراءات وأثرها في علوم العربية/ للدكتور محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٩٥ . القلب والإبدال/ لابن السكيت، ضمن الكنز اللغوي، لهفنر، مكتبة المتنبي بالقاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

(حرف الـــــكاف)

٩٦ . الكتاب/ لسيبويه، تحقيق/ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٩٧ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ للزمخشري، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٩٨ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ لحاجي خليفة، مكتبة المثنى بغداد، ودار الكتب العلمية . بيروت ١٩٤٢م.

(حرف الـــــلام)

٩٩ . اللباب في علل البناء والإعراب/للعكبري، تحقيق/ عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .١٩٩٥م.

١٠٠ . اللباب في علوم الكتاب/ للدمشقي، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٩٨م.

١٠١ . لسان العرب/ لابن منظور، تحقيق/ عبدالله الكبير ورفاقه، دار المعارف بمصر (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٠٢ . اللهجات العربية في التراث/ للدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.

١٠٣ . اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ للدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف . الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م.

١٠٤ . اللهجات العربية في قراءات الكشاف/ للدكتور عبدالمنعم عبدالله حسن، مطبعة الساملي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .١٩٩١م.

(حرف الميم)

١٠٥ . المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث/ للأصبهاني، تحقيق/ عبدالكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . مكة المكرمة، ودار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع . جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .١٩٨٦م.

١٠٦ . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها/ لابن جني، الناشر/ وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م.

١٠٧ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق/ عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠٨ . المحكم والمحيط الأعظم/ لابن سيده، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .٢٠٠٠م.

١٠٩ . مختصر في شواذ القرآن/ لابن خالويه، عني بنشره/ برجستراسر، مكتبة المتنبي . القاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

١١٠ . المخصص/ لابن سيده، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .١٩٩٧م.

١١١ . مشكل إعراب القرآن/ لمكي بن أبي طالب، تحقيق/ د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١١٢ . المصباح المنير/ للفيومي، تحقيق/ د. عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف بالقاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

١١٣ . معاني القراءات/ للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود . السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .١٩٩١م.

١١٤ . معاني القرآن/ للأخفش، تحقيق/ د. هدى محمود قراعة، الناشر/ مكتبة الخانجي . القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .١٩٩٠م.

١١٥ . معاني القرآن/ للفرَّاء، تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة والنشر، مصر، الطبعة الأولى (ولم تذكر سنة الطباعة).

١١٦ . معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج، تحقيق/ عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب . بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .١٩٨٨م.

١١٧ . معترك الأقران في إعجاز القرآن/ للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .١٩٨٨م.

١١٨ . معجم البلدان/ لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

١١٩ . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة/ لعمر رضا كحالة، الناشر: مؤسسة الرسالة . بيروت، ط السابعة ١٤١٤هـ .١٩٩٤م.

١٢٠ . معجم المؤلفين/ لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٢١ . المعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع/ الزيات ورفاقه، المكتبة الإسلامية، استانبول، الطبعة الثانية . القاهرة ١٣٩٢هـ .١٩٧٢م.

١٢٢ . معرفة القراء الكبار/ للذهبي، الناشر/ دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .١٩٩٧م.

١٢٣ . المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان داود، دار القلم . دمشق، والدار الشامية . بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ.

١٢٤ . المفصل في علم العربية/ للزمخشري، دار الجيل . بيروت، الطبعة الثانية (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٢٥ . مقاييس اللغة/ لابن فارس، تحقيق/ عبدالسلام هارون، دار الجيل . بيروت (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٢٦ . الممتع الكبير في التصريف/ لابن عصفور، الناشر/ مكتبة لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٦.

١٢٧ . الموسوعة القرآنية/ لإبراهيم الإبياري، مؤسسة سجل العرب ١٤٠٥هـ.

١٢٨ . الموسوعة القرآنية وخصائص السور/ لجعفر شرف الدين، تحقيق/ عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الناشر/دار التقريب بين المذاهب . بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(حرف النـــــون)

١٢٩ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ لابن تغري بردي، دار الكتب المصرية ١٣٨٥هـ.

١٣٠ . النحو الواضح في قواعد اللغة العربية/ لعلي الجارم، ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٣١ . النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري، أشرف على طباعته/ محمد علي الضَّباع، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٣٢ . النهاية في غريب الحديث والأثر/ لابن الأثير، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث، فيصل عيسى البابي الحلبي . القاهرة (ولم تذكر سنة الطباعة).

١٣٣ . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب/ للقلقشندي، تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتَّاب اللبنانيين . بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.١٩٨٠م.

١٣٤ . نهاية القول المفيد/ لمحمد مكي نصر، مراجعة/ الشيخ علي محمد الضباع، وأحمد علي حسن، مكتبة الآداب . القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.٢٠٠١م.

(حرف الهـــــاء)

١٣٥ . هداية القاري إلى تجويد كلام الباري/ للمرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية (ولم تذكر سنة الطباعة).

(حرف الـــــواو)

١٣٦ . الوافي بالوفيات/ للصفدي، دار صادر . بيروت ١٩٦٩م.

١٣٧ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ لابن خلكان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٠٠م .

ثالثاً ـ البحوث والدوريات

١. الظواهر الصوتية عند سيبويه/ للدكتور إبراهيم محمد البب، بحث في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، تصدر عن جامعتي سمنان . إيران، وتشرين . سورية ٢٠١٠م، العدد (٢) صيف ١٣٨٩هـ.٢٠١٠م.

٢. مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي عند سيبويه/ لجيلالي بن يشو، بحث في مجلة التراث العربي، العدد ٩٩ـ١٠٠،/ رمضان ١٤٢٦هـ، تشرين الأول ٢٠٠٥م، تصدر عن اتحاد كتاب العرب . دمشق، سورية.

٣. المماثلة الصوتية في اللغة العربية/ لشادي مجلي سكر، بحث في شبكة الألوكة نت، سنة النشر ١٤٣٦هـ.١٩١٥م.